17 ème Année No. 854

Lundi — 14 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ — ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

« يظهر أن الانتخاب قريب ! »

كذلك قال الحاج على وشفتاه الغليظتان تنفرجان عن ابتسامة لا يتم بدونها معنى الجملة، وعيناه الحادتان تتبعان مركبة كانت تدرج فى طريقها إلى القرية. فقال له المأذون وهو يربت على كتفه: صح نومك! لقد أذاع الراديو وأعلنت الصحف حل مجلس النواب وتحديد يوم الانتخاب؛ فالحكومة تتجهز، والأحزاب تتحفز، والمستنابون يغدون ويروحون، من الدائرة إلى الحزب، ومن الحزب إلى الدائرة، والعرق يتصبب من الجباه، والوعود تتناثر من الشفاه، والنقود تتسرب من المحافظ، و...

فقاطعه الحاج على بقوله: حسبك ياشيخ ابراهيم! إنك لتعلم أنى لا أسمع الإذاعة ولا أقرأ الصحف ولا أغشى المجالس، ولولا مقدم الأستاذ لما تركت حقلى. إنما أعرف اقتراب يوم الانتخاب بظهور هذه المركبة. إن قدومها على القرية أشبه بقدوم بغلة العشر على الموعود. إنها تحمل الينامع الباشا التساهل فى الحساب، والتسامح فى المتأخر، والاستماع إلى كل شكوى، والاستجابة لكل طلب، والمجاملة فى كل حادث، والمواساة فى كل خطب؛ حتى إذا انقضى يوم الإنتخاب، ودخل الباشا مجلس النواب، أشاح بوجهه ونأى بجانبه، وسلط على وعوده الحلوة مطال (ناظره) وضلال (كاتبه). فإذا لقيناه عبس وبَسر، وإذا سألناه دعّ وزجر، وإذا استرحمناه (شخط ونطر)؛ ثم لا نسمع بعد ذلك أنه قال كلمة فى المجلس، أو أبدى رغبة إلى الحكومة، أو أدى خدمة إلى الفلاح، أو أسدى منة إلى الوطن! لحل المجلس أنفع لنا من عقده، وترشيح النائب أجدى علينا من نيابته.

فقلت له: وما الذى يحملكم على انتخابه وقد علمتم بالتجربة أنه يرضيكم شهراً ويغضبكم دهراً؟ فقال: يحملنا على انتخابه أنه مالك ونحن مستأجرون، وليس بين المالك والمستأجر قانون غير العقد؛ والعقد نختمه على بياض وهو الذى يكتبه ويحتفظ به. فاذا غلَّبنا إرادتنا على إرادته، وآثرنا مصلحة البلد على مصلحته، اشتط فى أجرة الأرض، وتعسف فى تسوية الحساب، وتحكم فى اقتضاء الدين، فلا يكون لنا غير الاحتكام، ولكن إلى من؟ أو المهاجرة، ولكن إلى أين؟

فقلت له: ذلك أدعى إلى أن تنتخبوا غيره ممن يعلمون أموركم، ويشعرون شعوركم؛ حتى إذا تقدمت الحكومة باقتراح قانون بخفض الإيجار، أو برفع الأجر، أو بتحديد الملكية، أو بزيد الضريبة، كان مع الإقتراح لا عليه. ومتى سنت هذه القوانين ضمنت الحماية للمستأجر فلا يُظلم، وكفلت الرعاية للأجير فلا يُستغل. أما أن تعرفوا نائبكم هذه المعرفة، ثم تنتخبوه على هذه الصفة، فذلك مالا يسيغه عقل ولا تسوغه مصلحة.

فقال الحاج: الحق أننا لا نعرف ما هو البرلمان ولا ماذا يصنع النواب فيه. كل ما نعلمه أنها رجة تعتاد البلاد من حين

إلى حين ، فينشط مأذونو القرى ومعلموها فى الدعوة إلى فلان أو فلان ، ثم تقوم المآدب والخطب هنا ، وتنشب المعارك والشتائم هناك ؛ ثم لا يكون الانتخاب آخر الأمر إلا بإرشاد المأمور ، أو إكراه المالك ، أو إيحاء العمدة ، أو إغراء الجنيه !

فقلت فى نفسى : ذلك هو الواقع . ومتى عرفت الأمة أن لها السلطان ، وأن سلطانها معناه البرلمان ، علمت الناخب كيف ينتخب ، وأرشدت النائب كيف ينوب !

ابن عبد الملك

صور من الحياة :

كبريـــاء... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

وقف الفتى أمام أبيه المسجى فى كفن ينظر وإن نفسه لتضطرم بعوامل الأسى على أن فقد أباه أحوج ما يكون إليه ، فهو مازال طالباً فى المدرسة الثانوية لم ينهل من العلم إلا صبابة لا تغنى من جهل ولا تعصم من طيش . وإن قلبه ليضطرب بخلجات الفرح ، فهو أصبح – فى رأى نفسه – ثرياً يملك آلاف الجنيهات وعشرات الأفدنة وقصراً مشيداً وسط حديقة وارفة الظلال دانية القطوف ، فغداً ينعم بالمال ويسعد بالراحة ويلذ بالحرية . وثارت فيه نوازع الأسى والراحة فى وقت معاً ، فانهمرت عبرات عينيه على حين كان ينضم قلبه على نشوة جارفة من الفرح ، فلطالما عانى الضيق والحاجة ولطالما أمسك أبوه عنه المال شحاً منه وكزازة . ثم سكنت خواطره حين بهزه بريق الذهب وهو يتألق بين يديه فيجذب روحه ويصرفه عن أن يلقى بالاً إلى من ناح أو ندب .

وخلص الفتى من عسر الدرس إلى يسر الحقل ، ومن ضيق المدرسة إلى سعة الحياة ، ومن ذل الاستذكار إلى خفض العيش . وأحس – على حين فجأة – بأنه انفلت من قيود أبيه الثقال فأصبح رب نفسه يطير ويقع فلا يقع إلاّ على لذة أو متعة ، وأخوه الأكبر يرى بعين الرجل دفعات العبث توشك أن تعصف بأخيه فتستلبه من صحته وماله فى وقت معاً . وآذاه أن يقع الفتى بين مخالب رفاق السوء يبعثرون ماله وشبابه ، فأراده على أن يتزوج من ابنة خاله عسى أن ينزع عنه طيش نفسه أو أن يفزعه عن صحاب السوء ومضت السنون فإذا الفتى زوج وأب ، غير أنه لم يرتدع عن غى ولا أقلع عن سفاهة . وأنى له أن يقلع وإن الحنين إلى اللهو الوضيع ليعاوده – بين الفينة والفينة – فيطلق لنفسه العنان فيندفع – فى غير وعى – إلى الخمر والقمار والنساء جميعاً ، ومن حواليه شرذمة من السفلة يزينون له حياة الفسق والفجور ، فيلقى إليهم السلم فى غير عقل ولا تفكير .

وطمّت نزوات الطيش على عقل الفتى فما أفاق من نشوته إلا ليرى يده صفراً من الذهب والفضة معاً . لقد ابتلعت أسباب العبث والطيش كل ما ورثه من مال إلا الأفدنة وقد أهملتها يد الفلاح فأصابها التلف والبوار ، وإلا القصر وقد ضاقت جنباته بالفحش والمجون ... القصر الذى يمرح فيه صغاره وهم ملائكة الأرض ينشرون عليها روح الجنة وطهارة السماء . ووقف الأب – ذات مرة – ينظر إلى بنيه وهم يتدافعون تحت ظلال شجرة فى مرح لم ترهقه نوازع العيش ولا دنسته شواغل الحياة ، فأصابه الضيق والأسى لأنه يوشك أن يلقى بهم – بحماقته وجهله – إلى هوة من الشقاء والذل .

ووجد الفتى مسّ الحاجة فانطلق إلى أخيه الأكبر يستعينه على أمره ريثما يجمع غلات أرضه . وضحك الأخ الأكبر فى شماتة حين وجد الفرصة سانحة فانحط على أخيه يقذع له فى القول ويقسو عليه فى اللوم ويعنف فى الحديث ، ثم قال « ورفاقك ... رفاق السوء ؟ ألا تنظر أيهم يستطيع أن يسد الثغرة فى الشدة ، أو يرأب الصدع عند اليأس ، بعد إذ استنزفوا كل وفرك فى التافه الوضيع ؟ أما أنا فلا أستطيع لأن لى أولاداً هم أحق منك بمالى وجهدى » فانفلت الفتى من لدن أخيه وهو يتعثر فى الضيق ويجرر أذيال الخيبة . وغاظه أن يلقى من أخيه الأكبر الإحتقار والمهانة ، وأن يحس فيه القسوة والعنف ، وأن يخرج من داره تصفعه لذعات الإخفاق والحرمان ، فانطوى على أشجانه يدير الرأى ويقلب الفكرة : لقد أفاق من سكرات اللذة فما وجد صحابه ، وصحا من غفوة النشوة فما وجد ماله . ونازعته نفسه إلى أن يستعين ببعض أهله ليصلح من شأنه أو يقيم من عوجه ، ولكن كلمات أخيه كانت ماتبرح ترن فى مسمعيه فتدفعه عن أن ينشر ضعفه على عينى واحد من الناس خشية أن يناله الأذى أو أن تصيبه المهانة فأمسك على مضض وهم . وغبر ساعات يضطرب فى لجة من الهواجس لايهدأ ولا يستقر ولا يهتدى إلى حيلة . ثم انفرجت ظلمات الحيرة عن قبس من هدى فعقد العزم على رأى ،

وعلى حين غفلة من أهله انطلق إلى الإسكندرية .

وألقى الفتى بنفسه وأفئدته في خضم المضاربات المالية وهو يرى الهاوية أمامه تكاد تبتلعه فيقبل عليها في غير فزع ولا تردد . لقد سلبه اليأس الأناة والصبر يوم أن تراءت له فرحات الحياة تتبدد أمام ناظريه ، يوم أن لمس الجفوة والغلظة في حديث أخيه الأكبر وقد كان يطمع أن يجد فيه العون والساعد ، فعزم على أن يختار لنفسه ، وما في المضاربات المالية إلا الثراء العريض أو المتربة القاسية .

وهناك في الاسكندرية ، ابتسمت الحياة للفتى وتألق نجمه وسما حظه ، فأصاب من الثراء والغنى في سنة واحدة ما يعجز غيره عن أن يناله في سنوات ، فطابت نفسه وهدأت جائشته . ثم أخذ الحنين يساوره إلى القرية ، إلى الأهل ، إلى الرفاق ؛ فطار إلى القرية ليعيش على نمط الصالحين يسكن إلى الراحة ويطمئن إلى الهدوء وينعم بالسعادة في الأسرة بين الزوجة والولد والأهل ، لا تحدثه نفسه بنزوات العبث وقد قاسى مغبته ، ولا يدفعه قلبه إلى الطيش وقد ذاق مرارته .

وتلقاه أخوه الأكبر — أول ما جاء إلى القرية — في بشر وسرور ؛ يعانقه في شوق ، ويقبله في حرارة ، ويحدثه في شغف ، ويستغفره عن زلته بقوله « لا تؤاخذني — يا أخي — بما فعلت ولا ترهقني من أمرى عسراً ، فما كان يخيل إلى أن كلماتي وهي هينة لينة ستفزعك عن دارك وأهلك ووطنك ، وما كنت أطمع بحديثي إلا أن أردك عن هاوية توشك أن تتردى في قرارها بين رفاق لا كرم فيهم ولا شهامة » وأغضى الفتى عن حديث أخيه الأكبر فماشا معاً في رضى وطمأنينة .

ترى ماذا دهى الرجل الذي طرد أخاه الأصغر من داره أحوج ما يكون إليه فهو يقبل عليه في حب وشغف ؟ هل استحالت حاله وانقلبت خواطره فندم على زلته فجاء يستغفر أخاه الأصغر وقد فات الأوان ؟ أم هو قد أكبر فيه الهمة والنشاط حين عاد منصوراً مظفراً ؟ أم هو المال يبهر العقول الضعيفة ويستلب الأحلام الوضيعة فتجله وتحترمه لأنه هو ... هو المال ؟

وانطوت السنون فإذا الفتى الطائش رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه الكرم والشهامة ، وفيه المروءة والسخاء . وإذا صغاره فتيان ملء البصر والسمع والقلب جميعاً تتوثب فيهم فورة الحياة والقوة وتتألق فيهم لمعات الذكاء والعقل ، وإذا ماله يربو ويزداد فيكفل لهم جميعاً الجاه والسلطان ويحبوهم بالرفاهية والخفض .

ودأب الرجل على أن يختلس في كل سنة شهراً يقضيه في الإسكندرية ، يفر — كزعمه — من مضطرب الحياة وشواغلها إلى هدوء الوحدة وراحتها . ولكنه — في الحق — كان يهرع إلى البورصة ليشبع رغبة نفسه في المضاربات المالية ، ما يستطيع أن يصرف نفسه عنها بعد أن ذاق حلاوة الكسب ولذة الثراء .

وهو يرجع إلى أهله في القرية — كل مرة — طلق المحيا بادى البشر ، تكسوه ثياب الصحة والعافية ، وترتسم عليه علامات النشاط والقوة ؛ لا يشغله الربح ولا تؤرقه الخسارة .

ما لهذا الرجل يفزع من الإسكندرية — في هذه السنة — بعد أيام قلائل ليرجع إلى القرية مشتت الذهن مقطب الجبين ، ينطوى على نفسه في صمت وسكون ، لا يطمئن إلى رفيق ولا يهدأ إلى صاحب ولا يتحدث إلى صديق ؟ وتلقفته الألسن والأبصار ، وحامت حوله الشائعات : ماذا كان هناك في الإسكندرية ؟ لعل حادثة عصفت بآثار المرح في نفسه ، أو لعل نكبة نزلت فأطاحت بالبشر في قلبه ! وحار الناس في أمره وهو في صمت ، ومن حوله رجال لا يجد واحد الجرأة على أن يزيح الستار عن خبيئة نفسه .

الآن برح الخفاء ، فهذا هو المحضر جاء ليوقع الحجز على كل ما يملك الرجل إلا صبابة لا تشفى غلة ولا تنقع صدى ، حتى القصر الذي يعتز به ويوليه كل عنايته واهتمامه . وارتسمت على الشفاه ابتسامة التشفي والشماتة ، ولاكت الألسن كلمات السخرية والاستهزاء ، وقال واحد من الناس « من عسى أن يكون المحظوظ الذي يشترى أملاك الرجل الثرى؟ » وانبرى الأخ الأكبر يساوم الرجل لينقذه من براثن الدين ويستولى هو على أطيانه وقصره فلم يجد الرجل بداً من أن يلقى السلم فباع كل أملاكه بالثمن البخس .

وأرغمت الفاقة ربيب العز والثراء أن يسكن داراً وضيعة في ناحية قذرة من القرية ، وأن يعمل طول يومه ليكسب قوته وقوت عياله على حين أغلق الأخ الأكبر من دونه باب داره ، وأن ينزع أبناءه من المدرسة ليجد فيهم من يشد أزره ويعينه على لأواء الحياة وشظف العيش . ولكن الابن الأكبر أبى أن يخضع لنزوة أبيه فراح يناقشه في حدة ، وأراد أن ينطلق إلى عمه يرجوه أن

عالميـــة الأدب العربي

للأستاذ محمـــد وهبي

لئن كنا نفهم الأدب على أنه التعبير الصادق للنفس البشرية ، وتصوير الحياة من جميع وجوهها النفسية والفكرية والاجتماعية بواسطة الألفاظ ، فإننا نستطيع أن نجد بذلك التفسير العميق لخلود الآداب على وجه العموم . فما دامت النفس الإنسانية هى هي فى جوهرها على مر الأزمنة والعصور ، فإنها تدأب على تمجيد صورها الفنية الرائعة التى رسمتها ريشة الأدباء والشعراء على اختلاف محلهم وأوطانهم . وهى تمجد هذه الصور لأنها تظل تفهمها مهما تقدم بها الزمن .

على أن الخلود ليس الصفة الوحيدة التى تتمتع بها الآداب ؛ فهناك صفة العالمية ، أو قل طابع الشمول الإنسانى الذى لم نجده فى جميع الآداب ، وإنما امتاز به بعضها فقط .

لقد يخلد أدب فى أبناء القوم الذين أنتجوه ، لأنه يحمل بين طياته صورة لحياتهم الخاصة ، وغذاء معيناً لذوقهم المحلى ، ولكنه لا يستطيع أن يمتد إلى ذوق سواهم من البشر ، ولا أن يصل بكامل روحه إلى أفهام غيرهم من سكان المعمورة إذا ترجم لهؤلاء لأنهم لا يجدون فيه ما يتجاوب مع نفسياتهم ، ولا ما يعبر عن أحوالهم وأفكارهم التى قد يشاركهم فيها جميع البشر . إنه أدب محلى شخصى ، ينطوى على فردية متقلصة ضيقة فقيرة ، تجهل صفة الإنسانية العامة ، الغنية بمعانيها الحية . ولهذا نجد آداباً كثيرة جمدت ضمن البيئات التى نشأت فيها لاحتفاظها بصفة الفردية الضيقة ، ثم اندثرت مع الحضارات التى رافقتها ، حتى أصبحت لا تذكر إلا على سبيل التاريخ لحياة الأمم التى أنتجتها ؛ بينما نرى آداباً خلدت وانتشرت فى أكثر اللغات ، وظلت حية ممجدة فى كل صقع وكل قطر ، لأنها تتمتع بصفة العالمية الواسعة ...

والأدب العربى من زمرة الآداب العالمية التى لها صفة الشمول الإنسانى ... نقول هذا ونؤكده ، ونحن نعلم تمام العلم أن من المستشرقين من أنكروه قطعاً ، وحجتهم خلو هذا الأدب من المسرحيات التمثيلية والملاحم الضخمة ، واقتصاره على وصف الأحوال والبيئات الخاصة لأعلامه . ولا يجد الواحد منا كبير عناء فى الرد على مثل هذا الادعاء المنهار الأساس . فالأدب العربى يحتوى على عناصر إنسانية عدة ، تنوب عن الفن المسرحى ، وتكاد تفوقه فى الأهمية كما سنرى . وقبل أن ننفذ إلى بحث فنون هذا الأدب ، أو قل عناصره التى تجلى بها ، لنأخذ لغته التى تشكل قاعدته الأولى ، وعصبه الأساسى .

اللغة العربية لغة حية ما فى ذلك إشكال ، وهى إلى هذا غزيرة مرنة قد برهنت خلال العصور على قدرتها على التسرب إلى مختلف الشعوب ، والتأثير فى كثير من اللغات . والأدلة على هذا كثيرة : فمع أن الفاتحين الذين ظهروا فى الشرق قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم ، فقد تمكن العرب من فرض لغتهم عليهم . ولما صارت اللغة العربية عامة فى جميع البلاد التى استولوا عليها ، حلت محل ما كان فيها من اللغات : كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية وغيرها . وقد كان للغة العرب مثل ذلك الحظ حتى فى بلاد فارس على الرغم من يقظة الفرس ، بل لقد ظلت اللغة العربية فى تلك البلاد لغة أهل العلم والأدب ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ولم تؤلف كتب الكلام والعلوم الأخرى فى بلاد فارس بغير لغة العرب ، وإلى اليوم لا يزال أمر اللغة العربية فى ذلك الجزء من آسيا كالذى كان للغة اللاتينية فى القرون الوسطى بأوربا .

يعينه على إتمام دراسته لقاء دين يسدده بعـــد أن يتخرج فى الجامعة . ورفض الأب أن يستسلم لرأى ابنه الشاب ... رفض أن يستخذى فى إصرار وعناد . واحتدم النقاش بين الأب وابنه فثارت ثائرة الأب فلطم ابنه لطمة طار لها صواب الشاب فما شعر إلا وهو يهوى على خد أبيه بلطمة قاسية ثم يطير إلى عمه يستجديه .

وطفرت من عين الأب المنكود عبرة حرّى تحمل كل معانى الذل والشقاء .

وفى الصباح فزع الناس إلى الدار الوضيعـــة ... دار ربيب العز والثراء ليروا الرجل ملقى فى ناحية ينزف دمه آخر قطرة من الترفع ، تنهمر من شريان فى يده مزقته كبرياء لم تتصاغر من ذل الفاقة ، ولا تطامنت أمام ذل اللطمة من ابن عاق ...

كامل محمود حبيب

وقد كان للغة العربية فوق هذا أثر عميق فى اللغات اللاتينية ذاتها ، حتى أن المستشرقين « دوزى » و « أنجلمن » وضعا معجما فى الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية . وحتى اللغة الفرنسية أيضاً لم تنج من تأثير اللغة العربية التى أعطتها مثلما أعطت الطليان اصطلاحات كثيرة ، وخصوصاً الاصطلاحات البحرية . ويذهب الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » إلى القول بأن الأوربيين اقتبسوا فن القافية فى الشعر من العرب ، وأن الشعر الأسبانى والشعر البروفنسى مدينان فى ظهورهما لشعراء عرب الأندلس ، ويؤيده فى هذا عدة مستشرقين .

لسنا فى حاجة إلى الاسترسال فى التدليل على خاصة المرونة فى اللغة العربية ، تلك الخاصة التى جعلت منها لغة عالية عظيمة الانتشار ، فكان لها الأثر الأكبر فى نقل الأدب العربى إلى أقطار كثيرة ، وتزويد روحه بعناصر شتى ومواد غزيرة فى بلاد متنوعة ، مما جعله بالتالى أدباً عالمياً قريباً إلى نفس الإنسان فى أى مكان . ولا أدل على ما نذهب إليه من كثرة الترجمات الأدبية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية ، ورواج هذه الترجمات وتعدد طبعاتها ...

وإذا ما نظرنا فى الأدب العربى ، فأول ما يسترعى انتباهنا فى روحه ذلك الاتصال المباشر الدقيق بأعماق النفس الإنسانية على وجه العموم ، بحيث أنه وصفها وحللها وتواجد معها ، ونبض بمعانيها على اختلافها وتنوعها من سمو وضعة ، ومن قوة وضعف . ويبرز أمامنا فى هذا المعنى شعر عمر بن أبى ربيعة الذى عبر أصدق تعبير عن نفسية الإنسان فى غرامه وفى فهمه لعقلية النساء . وإن أنس لا أنس داليته المشهورة التى قالها فى محبوبته « هند » ، حيث يصور لنا مشهداً فريداً فى نوعه ، ويعطينا وصفاً طريفاً لأحاديث النساء فيما بينهن ، بحيث يخلص منه إلى إبراز الغيرة التى تخالج نفس المرأة أياً كان لونها أو زمنها ، لنصغ إليه إذ يقول:

زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد :
أكما ينعتنى تبصرننى ... عمركن الله أم لا يقتصد ؟
فتضاحكن وقد قلن لها : ... حسن فى كل عين من تود
حسداً حملنه من أجلها ... وقديماً كان فى الناس الحسد

ونستطيع أن نتبين أوجه الشبه القوى فى هذه الخاصة بين ابن أبى ربيعة «وراسين» فى الأدب الفرنسى، أو « ألفرد دو موسيه» كذلك ، بل إن ابن أبى ربيعة بلغ من إتقانه تصوير النفس البشرية حداً جعله يستعمل أبسط الألفاظ وأقربها إلى العامية أحياناً لأجل تأدية المعانى الدقيقة .

ويشارك ابن أبى ربيعة فى هذه الميزة أبو نواس ، ذلك الشاعر العالمى النادر المثال الذى لم يدع حالة من أحوال اللهو والمجون إلا وصفها وصفاً صريحاً كشف عن أدق النزعات والنزوات التى تخامر نفس الإنسان ويكبتها أو يحجبها عن المجتمع .

وخاصة ثانية ارتقى بفضلها الشعراء العرب إلى مرتبة الشعراء العالميين ، تلك هى إحساس الطبيعة ، أو قل تمشق الطبيعة ، والتواجد معها ، وتقديس جمالها والافتتان بتصويره . فابن الرومى، ذلك الفنان المتيم بالألوان ، والبحترى يستويان فى هذا الباب فى مرتبة « لامرتين » و « شاتوبريان » و « فيكتور هوجو » . وأما شعراء الأندلس ، فلا تسل عن الشأو الرفيع الذى بلغوه فى هذا التواجد الإنسانى ، الذى يتجلى فى قول ابن خفاجة حين يصف روضة عند الصباح :

والنور طرف قد تنبه دامع ... والماء مبتسم يروق صقيل
فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهب صفحتيه أصيل
وأربد ينظر فى نقاب غمامة ... طرف يرنقه النعاس كليل
ساج كما رنو إلى عواده ... شاك ويلتمح العزيز ذليل ...

وبين أعلام الأدب العربى شعراء نستطيع تسميتهم شعراء المبدأ أو شعراء الفكرة إن صح هذا التعبير ، يرتقون إلى درجة العالمية بجدارة صريحة ، بفضل المبادىء أو المذاهب الإنسانية التى اعتمدوها فى إنتاجهم الفكرى . ففلسفة التشاؤم وحرية الفكرة تشكلان المحور الأساسى لشعر أبى العلاء المعرى ؛ وهو يلتقى من ناحية التشاؤم بالفيلسوف الألمانى « شوبنهور » ، وفى ناحية حرية الفكر بالكاتب العالمى المعاصر « برناردشو » .

أما المتنبى فقد تجلت فى شعره فكرة إنسانية خطيرة ، كان من شأنها أن تطورت وتبلورت من بعده فى مبدأ فلسفى هام عند الفيلسوف الألمانى نيتشه : ألا وهى فكرة « الاستعلاء » ؛ وقد جسمها « نيتشه » فى شخصية « الإنسان الأعلى » أو « السوبرمن » على حد تعبيره . وحسبنا من شعر المتنبى المفعم بهذه الفكرة قوله :

وإنى لمن قوم كأن نفوسهم ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وقوله :

الوليد بن عقبة فى كتاب عثمان

للأستاذ محمود أبو رية

مما لا يكاد يخفى على الباحث المحقق أن أدق فترة فى التاريخ الإسلامى هى التى بدأت باغتيال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتولى عثمان أمر الخلافة بعده . ذلك أن تيار الإسلام الزاخر قد أخذ بعد مقتل عمر يتحول عن مجراه الذى كان يتدفع فيه بالخير والهدى والسلام على عهد الرسول صلوات الله عليه وصاحبيه إلى اتجاه آخر . وكأن الإسلام الذى اعتز بإسلام عمر وتهدّى فى سيره قد انقلب يتسف الطريق بعد أن انقلب هذا الخليفة العظيم إلى ربه وعلى أن هذه الفترة على ما وصفنا ، فإنها لم تؤرخ على ما يجب أن يكون عليه التاريخ الصحيح ، وذلك أن كل مؤرخ قد كبّل فكره بما وضعه السلف من قيود ، ووقف عند ما خطوه من حدود فلا يبحث بعلم ولا يفكر بعقل . وكان أثقل تلك القيود هو ما قرروه من عدالة الصحابة جميعاً ، حتى جعلوا الطلقاء فى مرتبة المهاجرين ، والمؤلفة قلوبهم فى منزلة الأنصار المخلصين ، والمنافقين فى مقام الأتقياء الصالحين .

وعلى ذلك جرى الخلف وراء السلف يتبع بعضهم بعضاً بلا بصر ولا بصيرة معتمدين على مجرد النقل عنهم ، منصرفين عما يقضى به العقل والمنطق فى نقد ما وصل إلينا منهم .

إنه لا يمكن للمؤلف المحقق أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة إلا إذا تزوّد بزاد كبير من مواد التاريخ ، وحرر عقله من رقّ التقليد ، واستعان فى النقد والتحليل بنظر بعيد وأن يسبر الوقائع كما يقول ابن خلدون . بمعيار الحكمة وأن يقف على طبائع الكائنات ويحكم النظر والبصيرة فى الأخبار » .

ومما يجب على من يؤرخ هذه الفترة أن يقف على طبائع الجاهلية عامة وما كان من نزاع وتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم خاصة ، وأن يدرك أن ما كان بينهما فى الجاهلية لم يعف الاسلام جذوته ، ولم يخفف الهدى المحمدى حدته ، وأن يميز بين الذين آمنوا إيماناً صادقاً من الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم .

هذا ما يجب على كل من يريد أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة تاريخاً صادقاً ، ومن يفته شئ من ذلك فان عمله يخرج ناقصاً

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً ، وما قولى كذا ومعى الصبر !

ومن فنون الأدب فن عالمى قيم اشتهر به كتاب عالميون وكان لأدباء العرب فيه نصيب كبير ، وهو فن « الظرف » أو قل باب الفكاهة والمرح الفكرى . وقد امتاز بهذا الفن بين الانكليز « تشالز ديكنز » و « برنارد شو » ، وبين الفرنسيين « أناتول فرانس » ؛ ويقابل هؤلاء من بين الأدباء العرب الجاحظ ، بحيث يضاهيهم بالفعل ، وذلك بما فى كتاباته من رقة ومرح ، وبما فى فكاهاته من لذع خفى ، وظرف محكم ، لحمتهما وسداهما الفكرة المعمقة .

وهنالك لونان عالميان من ألوان الأدب ، طرقهما الأدباء العرب فأبدعوا ، وكان لهم بذلك تأثير كبير فى الآداب الأجنبية . فأحدهما « الأدب الصوفى » ، وقد برز فيه ابن الفارض ، وحوله زمرة لا يستهان بها من المتصوفين الذين يعدون عالميين فى أدبهم الصوفى ؛ والآخر فن تأدية الحكمة على لسان الحيوان ، وقد تجلى هذا الفن فى أدب ابن المقفع ، وانتقل تأثيره إلى الشاعر الفرنسى « لافونتين » .

بإمكاننا أن نلمس من هذا العرض السريع ، مدى أهمية الأدب العربى بالنسبة إلى الآداب العالمية ، تلك الآداب التى عالجت قضايا الإنسان ، ووصفت نفسية الإنسان ، فكانت لغته الحية الناطقة فى كل مكان وكل زمان .

ولئن لجأ بعض الأدباء العالميين لتحقيق هذه الغاية ، إلى وضع المسرحيات ، فما ذلك إلا لأن بيئاتهم الخاصة حدت بهم إلى هذه الوسيلة ، ويسرت لهم تحقيقها ؛ أما أدباء العرب فقد عوضوا عن هذا النقص الطفيف بلجوئهم إلى وسائل أخرى لا تقل عنها أهمية أو قيمة ، مما أتينا على ذكره ، فأنتجوا بذلك أدباً عامراً بالمعانى والعناصر الإنسانية التى بإمكانها أن تتجاوب مع نفس كل إنسان . بل لقد رأينا كيف أنه عندما سمحت البيئة الاجتماعية بطرق فن الأدب التمثيلى عند العرب ، برز شوقى بمسرحياته الخالدة ، فسد ذلك الفراغ العارض بكل جدارة .

وحسب الأدب العربى أعلامه الخالدون عمر بن أبى ربيعة وأبو نواس والمتنبى وأبو العلاء وابن الرومى وشوقى ، حتى يستوى فى مرتبة الآداب العالمية الخالدة .

(بيروت) محمد وهبى

وتاريخه يظاهر عقيماً وإن سمى بين العامة تاريخاً !!

نوطئ بهذا النبذ من القول أن نرسل كلمة صغيرة عن كتاب (عثمان) أحد أجزاء الفتنة الكبرى الذى يتوفر على إخراجها الدكتور طه حسين بك.

تناولت هذا الكتاب بعد أن فرغ الناس من الكتابة عنه والبحث فيه فإذا بى تلقاء نمط جديد فى دراسة التاريخ لم أعهد مثله فيما كتب عن تاريخ صدر الإسلام بحثاً وتحليلاً اللهم إلا كتاب (فجر الإسلام) للأستاذ أحمد أمين بك، فهو صنوه فى البحث، وقرينه فى التحقيق، هذا فى تاريخ الحياة العقلية، وذاك فى تاريخ الحياة السياسية.

وهذا الكتاب لا يفهمه حق الفهم إلا من حرر عقله وآثر الحق على هواه. وإذا كان الكلام عن هذا الكتاب النفيس قد يعد الآن من التكرار بعد أن تولاه الكتاب من قبل بالتقريظ والثناء الطيب فإنى أتحدث اليوم عن أمر وجدت فيه ولم أر بدأً من الكلام عنه.

ذلك أن الدكتور طه حسين بك قد استراب فيما حملته الرواية من أن الوليد بن عقبة قد صلى بالناس فريضة الصبح وهو ثمل ثم التفت إلى من معه وقال: أزيدكم؟ فقال إن هذه القصة مخترعة من أصلها فيما أعتقد[1].

ولكن هذا الخبر أثبته كبار المؤرخين وبخاصة من كان منهم من ثقات المحدثين كالبخارى وابن عبد البر والذهبي وابن كثير، وآخر من أيد هذا الخبر مجتهد اليمن بن الوزير فى كتابه (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) فإنه على ما أطال فى الدفاع عن رجال الحديث الذين لا يجوزون الكبائر على الصحابة، وما بالغ من ذلك فإنه لم يستطع أن ينكر ما نسب إلى الوليد من أنه صلى الصبح وهو سكران ومما جاء فى كتابه هذا[2]:

« قال إمام أهل الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) فى معرفة الصحابة عن الوليد:

« له أخبار فيها نكارة وشناعة تدل بقطع على سوء حاله » وبعد أن بيّن ابن عبد البر: أن أخباره فى شرب الخمر ومنادمته لأهلها كثيرة، ذكر أنه صلى الفجر بأهل الكوفة ثم قال أزيدكم

وإذا كان الدكتور قد قرر بحق أن إسلام الوليد كان رقيقاً وأنه غش النبي، فإن وقوع مثل هذا الأمر ليس بغريب منه

(1) ص ٩٦ من كتاب عثمان (2) ص ١٢٦ ج ا

على أن ما فعله الوليد من شربه الخمر وصلاته وهو سكران قد استفاض بين الناس حتى أكثروا من القول فيه ويبدو أن عثمان قد تباطأ فى إقامة الحد عليه فقد روى البخارى عن عروة بن الزبير أن عبيد الله بن عدى أخبره أن المسور بن مخرم وعبد الرحمن بن الأسود قالا ما يمنعك أن تكلم خالك عثمان فى أخيه الوليد بن عقبة[1] فقد أكثر الناس (أى من تركه إقامة الحد عليه) فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له: إن لى إليك حاجة وهى نصيحة، فقال: أيها المرء، أعوذ بالله منك، فانصرفت فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى عبد يغوث فحدثتهما بالذى قلت لعثمان، فقالا: قد قضيت الذى كان عليك! فبينما أنا جالس معهما إذ جاء رسول عثمان، فقالا: قد ابتلاك الله! فأتيته، فقال: ما نصيحتك! فقلت: إن الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله (ص) وهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله (ص) ورأيت هديه. وقد أكثر الناس فى شأن الوليد فحق عليك أن تقيم عليه الحد. وبعد أن أجاب عثمان بقول يذكر فيه إسلامه وموقفه من النبي (ص) وصاحبيه، قال: ما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم أمر بجلد الوليد فجلد أربعين جلدة فى أصح الروايات؛ فقد خرج مسلم من طريق أبى ساسان قال: « شهدت عثمان أتى بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أنه قد شرب الخمر والذى تولى جلده عبد الله بن جعفر.

وتبين من سياق الأحداث واستقراء الأخبار أن عثمان رضى الله عنه لم يقم الحد على أخيه إلا لأنه صلى بالناس وهو سكران، لا لأنه شرب الخمر فحسب! إذ لو أقيم عليه حد الخمر فقط لوقع ذلك فى كل يوم لأنه كان مدمن خمر!

هذا ما نرى بيانه، ونرجو أن يوفق الدكتور فى إتمام سائر الأجزاء التى رأى أن يكسرها على تاريخ الفتنة الكبرى، وأن يخرج ما بقى من عمله على غرار هذا الجزء الذى بين أيدينا.

ولعله بعد ذلك يتخذ سبيله إلى تاريخ الأدب العربي تاريخاً مستفيضاً مفصلا حتى يؤدى ما عليه من دين للغة العربية وآدابها.

المنصورة

محمود أبو رية

(1) وعقبة هو ابن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أخا عثمان لأمه، وكان عثمان ولاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص سنة ٢٥ هـ.

صـــــدى مقتل الحسين

فى التاريخ الاسلامى والأدب العربى

للأســتاذ ضياء الدخيلى

فى محرم الحرام تنشى الكآبة والحزن الأقطار التى يتغلب فيها التشيع لآل البيت عليهم السلام كما فى العراق وإيران والهند وأقسام فى الأفغان والتبت فى الصين وجبل عامل فى لبنان ومحلة الأمن فى دمشق ومحلات المتاولة (أى المتولين لأهل البيت) فى بيروت ، وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفى البحرين الكويت وتركستان والقفقاز فى روسيا ومحلات أخرى أجهلها . فى الأصقاع الشيعية تجد المساجد والجوامع تجلل فى محرم من كل عام بالسواد القاتم حزناً على شهيد كربلاء وتخرج المواكب باكية معولة تندب ابن بنت رسول الله (ص) الحسين بن على بن أبى طالب (ع) الذى قتله جند عبيد الله بن زياد بأمر من يزيد بن معاوية وذلك عام ٦١ هـ (٦٨٠ م) — قتلوه هو وصحبه الكرام وأهل بيته حتى طفله الرضيع ومثلوا بأجسادهم الطاهرة وأحرقوا خيامهم وسبوا نساءهم وذلك فى كربلاء على مسافة من الكوفة عاصمة أبيه الأمام (ع) وقد بالغوا فى القسوة وفظاعة التمثيل وحرموه هو وأطفاله الماء حتى مات عطشان ؛ كل ذلك لأخافة شيعة أبيه فى العراق وقصد إخماد كل ثورة يحتمل أن يقوم بها الشيعة فى العراق للانفصال من الحكم الأموى ؛ ولكنهم اقترفوا من الفظائع ما أثار حفيظة العالم الإسلامى وأغضب كل من وقف على الواقعة من الناس حتى المستشرقين ، فاقرأ ما كتبه المستشرق الفرنسى سيديو فى كتابه (تاريخ العرب العام) والمستشرق الأنجليزى ميور فى كتابه (الخلافة نزوعها وانحدارها وسقوطها) — إنك لتجد أقلام هؤلاء على نصرانيتهم — تسيل سخطاً على الجيش الأموى وما قام به فى كربلاء من ظلم وعدوان .

لذلك صار اسم محرم رمز الحزن والكآبة فى العالم الإسلامى وكان شهر النوح والبكاء عند الشيعة على الأخص . فقد حدث المؤرخون أن الشيعة فى العهد الأموى كانوا يعقدون المواكب والاحتفالات الصاخبة ، وقد اتخذوا يوم كربلاء يوم حزن ورثاء ، وكانوا يولونه كثيراً من عنايتهم فيجتمعون فى الأسواق ويسيرون المواكب ويلزمون أنفسهم الإمتناع عن تناول أطايب الطعوم ولذيذ المشروب ويتناشدون الأشعار بالنوح على الحسين (ع) والطعن فى قاتليه ؛ وظل الحال على ذلك فى العراق إلى أن تولى الحجاج بن يوسف الثقفى العراقين فى عهد عبد الملك بن مروان فقابل الشيعة بالضد وحمل الناس على اتخاذ هذا اليوم عيداً وألزمهم لباس الثياب الفاخرة وتناول الأطعمة الشهية واتخاذ صنوف الحلوى والأفتنان فيها ومنها الحبوب المطبوخة باللبن والسكر وكان من نتيجة ذلك أن وقعت مصادمات دامية بين الشيعة والسنة وحدثت مجازر مؤلمة بين المسلمين وقانا الله شرها .

حتى إذا قامت الدولة البويهية فى العراق جعلت الاحتفال بذكرى مصرع الحسين أمراً رسمياً تلتزم القيام به الدولة المستولية على أزمة الحكم . قال السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) ، وفى سنة ٣٥٢ هـ يوم عاشوراء ألزم معز الدولة (البويهى) الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب فى الأسواق وعلقوا عليها المسوح (والمسوح جمع المسح وهو الكساء من شعر ، وما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد) قال السيوطى وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطمن فى الشوارع ويقمن المآتم على الحسين ؛ وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد . واستمرت هذه البدعة سنين : وفى ١٨ ذى الحجة منها عُمل عيد غدير خم وضربت الدبادب (والدبادب جمع الدبداب وهو الطبل سمى بذلك حكاية لصوته) .

وقال ابن الأثير فى أخبار سنة ٣٥٢ هـ وفى هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها

بالسوح ، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن فى البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن على (ع) ففعل الناس ذلك . ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم . وفى ١٨ ذى الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة فى البلد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالى الأعياد ، فعل ذلك فرحاً بعيد غدير (وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً) وقال أبو المحاسن فى (النجوم الزاهرة) فى حوادث سنة ٣٦٣ وفيها أعاد عز الدولة بختيار النوح فى يوم عاشوراء إلى ما كان عليه .

وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى أخبار سنة ٣٥٢ فمن الحوادث فيها أنه فى اليوم العاشر من المحرم غلقت الأسواق ببغداد وعطل البيع ولم يذبح القصابون ولا طبخ الهراسون ولا ترك الناس أن يستقوا الماء ونصبت القباب فى الأسواق وأقيمت النائحة على الحسين (ع)] .

والظاهر أن ما سنه معز الدولة البويهى استمر فى بغداد والعراق وتمسك به شيعة بغداد والتزموا القيام به فى كل عام؛ حتى اليوم نجد تلك المواكب الحزينة الباكية تقام فى العراق ومنه أخذها العالم الإسلامى الشيعى . وقد جر إصرار الشيعة على إقامة تلك التقاليد المذهبية أن حدثت عدة اصطدامات بينهم وبين إخوانهم الأعزاء من أبناء السنة ؛ فى الأيام الأخيرة عندما حاول ياسين باشا الهاشمى منعها قامت ثورات دامية فى الفرات فى لواء الديوانية وفى لواء الناصرية .

أما فى العصر العباسى الأخير فقد كانت الفتن المذهبية قائمة على قدم وساق بين الشيعة والسنة من أجل إصرار الشيعة على إحياء المواكب العزائية فى كل عام وقت محرم كما سنها معز الدولة البويهى ومن سبقه فى العصر الأموى قبل أن يجعل الحجاج يوم عاشوراء عيداً نكاية بشيعة العلويين .

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤١ هـ وفيها منع أهل الكرخ من النوح (على الحسين) وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ، ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ ، فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين .

وأخرج الطائفتان فى العمارة مالا جزيلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فأقاموا به . وتقدم الخليفة إلى أبى محمد بن النسوى بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأصلحوا أمرهم بأنفسهم ، وأذنوا فى القلائين وغيرها بحى على خير العمل (وهذا النداء ينفرد به الشيعة فى أذانهم) وأذنوا فى الكرخ : الصلاة خير من النوم (وهذا نداء ينفرد به أذان السنية وقت الفجر) وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبور النسوى) هذا ما نقله ابن الأثير وفيه ترى التشاحن بين أهالى بغداد لم يكن منبعثاً بدوافع مذهبية فحسب ، بل أنه دخلت فى تكوينه أسباب أخرى جاهلية هو ما كان بين المحلات من تفاخر ، وهذا مظهر لانحطاط عقلية العامة من الناس فى تلك العهود وانتشار الجهل بين الطبقات الاجتماعية الدنيا الذى أدى إلى توسيع شقة الخلاف .

قال ابن الأثير ثم تجددت الفتنة سنة ٤٤٣ هـ فى صفر وعظمت أضعاف ما كانت قديماً فكان الاتفاق المتقدم غير مأمون الانتقاض لما فى الصدور من الأحن . ووصف ابن الأثير فى الجزء الثامن ص ٢٠٩ قيام بعض رجال الدولة العباسية من أهل السنة بالانتقام من شيعة الكرخ بإحراق أسواقهم ودورهم بوضع النار فى عدة مواضع منها مما أدى إلى احتراق سبعة عشر ألف إنسان وخسارة عظمى فى الأموال وهذا من أفظع صور المعارك الطائفية فى العصر العباسى الأخير مما مهد إلى انقراض الدولة الإسلامية وذهاب ريحها .

قال ابن الأثير وفى سنة ٥٠٢ هـ وقع الصلح ببغداد بين السنية والشيعة بعد فتن تكررت بينهم سنين عديدة ، ولم يستطع خليفة ولا سلطان أن يصلح بينهم ، (بل الصحيح أن الملوك لم يكونوا يريدون الإصلاح ، بل كانوا يزيدون النار حطباً

على أساس القاعدة : فرق تسد) فنرى مما تقدم ما تركه مصرع سيدنا الحسين (ع) من أثر سيء ظل يدوى صداه فى الأعصار الإسلامية ؛ وقد سبب مجازر طائفية دامية أضاعت شوكة الإسلام وشغلت المسلمين بأنفسهم وألقت بأسهم فيما بينهم وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتحينون الفرص للانقضاض عليهم وتدمير معالم حضارتهم وإلقاء نير العبودية فى رقابهم وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد المستعصم الذى قام جيشه بأفظع مجزرة طائفية فى الكرخ إذ قتل ونهب وسبى العلويات بقيادة (أمير الجيوش) وأبى بكر ابن المستعصم كما وصف الحادثة ابن الفوطى من أبناء ذلك العصر فى كتابه (الحوادث الجامعة والعبر النافعة فى المائة السابعة) .

وأما فى مصر فقد قال المقريزى فى (خططه) ج ٢ ص ٣٨٥ عن عاشوراء كان الفاطميون يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فأنظره ، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير . فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنع الحلاوات ويتخذون الأوانى الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لأنه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط .

وكان الفاطميون ينحرون يوم عاشوراء عند القبر (أى قبر رأس الحسين (ع) الذى نقله الأفضل بن أمير الجيوش من عسقلان فى فلسطين إلى مصر) — الأبل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين (ع) ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

قال ابن زولاق فى كتاب (سيرة المعز لدين الله) : فى يوم عاشوراء من سنة ٣٥٣ هـ انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة (يقول المقريزى إن السيدة كلثوم هى بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق (ع) والسيدة نفيسة هى بنت الحسن بن زين العابدين بن الإمام الحسن بن على أبى طالب (ع) وقد توفيتا بمصر ودفنتا هناك) ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين (ع) وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الأسواق وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز (الفاطمى) بمصر . وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الأخشيدية والكافورية وكانوا يجتمعون فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة . وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان فى الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك ؟ فإن قال معاوية أكرموه ، وإن سكت لقى المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج .

وقال المسبحى (قال لى الدكتور مصطفى جواد هو عز الدين المسبحى له كتاب مفقود فى تاريخ الدولة الفاطمية ومسبح هنا اسم مفعول من سبح بالتشديد) — وفى يوم عاشوراء من سنة ٣٩٦ هـ جرى الأمر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ، ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شىء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا

ركن المعتزلة :

قدرة الله فى مذهب المعتزلة

الدكتور ألبير نصرى نادر

— ٢ —

تقول المعتزلة إن الله لا يفعل إلا الأصلح وأن قدرته لا تأتى إلا بما هو كمال ؛ فقط هناك نقطتان ذواتا أهمية كبرى وهما التوفيق بين قدرة الله تعالى وحرية الاختيار عند الانسان من جهة ومن جهة أخرى مسألة الظلم : هل يمكن أن يفعله أم لا يمكن.

قدرة الله وقدرة الانسان على أعماله :

لما كان الله قادراً على كل شئ ، ولما كانت قدرته لا متناهية كذاته ومتجهة دائماً نحو الكمال ، فن أين إذن الشر والمعصية وما يترتب عليهما من عقاب وألم ؟ إنهما لا يقعان إلا عن كائن حر الاختيار فى نياته وأعماله ، يتردد ثم يختار ويعزم . وفى تردده هذا دليل على عجزه وعدم كماله . ويترتب على اختياره نتائج ملائمة لما اختاره من عمل حسن أو سيء . فأين قدرة الله من عمل الانسان هذا ؟ إن قدرته تعالى تحدها حرية الانسان . والمعتزلة يتمسكون بشدة بهذا المبدأ ويبنون عليه المسألة الأخلاقية بكاملها .

وبما أن الثواب أو العقاب هو نتيجة لما اختاره الانسان بمجرد حريته فلا يمكن الله أن يغير أو يبدل فى هذا الثواب أو العقاب . ويقول النظام بهذا الصدد : إن الله لا يقدر على أن يخرج أحداً من أهل الجنة منها ولا يقدر على أن يلقى فى النار من ليس من أهل النار . ويقول أيضاً : لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادراً على إلقائه فيها وقدر الطفل على إلقاء نفسه فيها(١) . إننا لا نعجب من قول المعتزلة هذا لأنهم أثبتوا من جهة قدرة الله لامتناهية ؛ وهى فى مذهبهم ليست سوى الذات ؛ وأثبتوا من جهة أخرى قدرة الانسان على أنه حر فى اختيارها . وبعد ذلك وجدوا أنفسهم أمام مشكلة عويصة وهى هل الله قادر على كل شيء : على الظلم والجور كما هو قادر على العدل ؟ وبمعنى أوضح هل يقدر الله تعالى أن يثيب من استحق العقاب وأن يعاقب من استحق الثواب ؟ بحث المعتزلة هذه المسألة على ضوء العدل وسنبين فيما بعد الحل الذى أتوا به . وقبل أن نعرض لهذا الحل نذكر هنا عقيدة راسخة عند المعتزلة استنتجوها من قولهم بعدل الله وقدرة الإنسان على أعماله ، وهى أن الله تعالى يعمل لما فيه صالح الخلق ولكنه يترك الإنسان حراً فى اختياره . ولما كان الله تعالى لم يزل يعلم ما يختاره الإنسان من أعمال فإنه يأتى أحياناً بـ ـ من عنده لمساعدة ذوى الإرادة الحسنة . لذلك يقول بشر ابن المعتمر(٢) إن الله لو علم من عبد أنه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه إياه أصلح له من أن يميته كافراً(٣) فنلمس هنا مسألة اللطف الذى

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥ — الشهرستانى : الملل والنحل (على هامش بن حزم ط ص ٦١) .

(٢) هو أبو سهل الهلالى بشر بن المعتمر المتوفى حوالى ٢١٠هـ أو ٢١٦ هـ وهو مؤسس فرع بغداد . تتلمذ لأبى عثمان الزعفرانى وليشر ببعيد صاحبى واصل بن عطاء رأس المعتزلة .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ .

السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها (ص) وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه .

وقال ابن المأمون وفى يوم عاشوراء من سنة ٥١٥ هـ (وذلك فى عهد الآمر بأحكام الله سنة ١١٢١ م) عبىء السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش وهو السماط المخصص بعاشوراء وكان يعبأ فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات ، وجميع الخبز من شعير وخرج الأفضل من باب (فرد الكم) وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الأشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل فى الصحن الأول الذى بين يدى الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى إلى السماط ثم رفع وقربت صحون جميعها عسل نحل .

ضياء الدخيلى

يتدارك به الله العاصي . ولكن المعتزلة تقول إن هذا اللطف لا ينجح إلا في حالات شاذة نادرة . وخلاص نفوسنا أو هلاكها عائد إلينا ، وذلك بفضل حرية اختيارنا لذلك يقول بشر بن المعتمر ومعه جميع المعتزلة إن الله لا يكون موالياً المطيع في حال وجود طاعته ، ولا معادياً للكافر في حال وجود كفره ؛ وإنما يوالى المطيع في الحالة الثانية من وجود طاعته ، ويعادى الكافر في الحالة الثانية من وجود كفره[1] .

هذا قول واضح بأن الإنسان بمحض إرادته يصبح مطيعاً أو كافراً ولا قدرة لله في ذلك . وبعدما يصبح الإنسان مطيعاً (وهى الحالة الثانية التي يتحدث عنها المعتزلة) حينئذ يكون الله موالياً له ؛ وبعدما يصبح كافراً (وهي الحالة الثانية في الكفر) حينئذ يكون الله معادياً له . ويستدل المعتزلة على ذلك بقولهم إنه لو جاز أن يساعد الله الإنسان في حال وجود الطاعة فيه لجاز أن يساعده في حال وجود الكفر فيه . وهذا محال في مذهبهم لأن الله لا يفعل الشر ؛ والشر في الحقيقة هو المعاصي الموصلة إلى عذاب الله ، على حسب قول قاسم الدمشقي[2] .

الحكمة في أعمال الله :

تقول المعتزلة إن الله غاية في الحكمة ولا يعمل إلا الأصلح فهو تعالى لا يعمل شيئاً اتفاقاً أو جزافاً . فعليه توجد قوانين ثابتة ومحددة من لدن حكمته تعالى تسوس جميع الأمور في هذا العالم ؛ وهذه القوانين خاضعة لحكمة الله الكاملة . فيجب أن ننظر إلى كل مايحدث في الدنيا كأنه تعبير لهذه الحكمة . وعقل الإنسان ، في رأيهم ، يمكنه أن يدرك هذا النظام الكامل في العالم والذي يدل على وجود خالق أزلى حكيم كامل عادل .

هل يقدر الله على أن يظلم ؟

يبدو هذا السؤال غريباً في مذهب المعتزلة القائلين بأن الله كلى الكمال ؛ ولكنهم بالرغم من ذلك خصوا هذا السؤال حتى يوضحوا فكرتهم عن الله ويجلوها .

من الجلى أنهم جميعاً يردون أى فكرة تؤدى إلى الإعتقاد

(١) نفس المصدر .
(٢) الخياط : كتاب الأنتصار ص ٨٥ .

بأن هناك ظلماً في عمله تعالى وهم يرددون دائماً بأن الله يفعل مافيه صالح الخلق . فإذا بحثت المعتزلة هذا الموضوع فيكون ذلك من جهة القدرة فقط ، وليس من جهة عمل الظلم فعلا من لدنه تعالى . فيكون الموضوع مجرد بحث نظرى . وعلى هذا الشكل نجد حلين مختلفين لهذا السؤال عند المعتزلة .

الحل الأول : القول بالقدرة :

القائلون بها من المعتزلة هم أبو الهذيل العلاف وأبو موسى المردار وجعفر بن حرب وبشر بن المعتمر . وقولهم مقتضى أن الله يمكنه أن يفعل الظلم ولكنه لا يفعله أبداً وأوضح المردار حجتهم في ذلك بقوله : إن الله يوصف بالقدرة على العدل وعلى خلافه وعلى الصدق وعلى خلافه ، لأن هذه هي حقيقة الفاعل المختار أن يكون إذا قدر على فعل شيء قدر على ضده وتركه[1] ولكن يضيف المردار إلى هذا قوله : ولو فعل تعالى مقدوره من الظلم والكذب لكان إلها ظالماً كاذباً[2] وهذا ما يناقض فكرة الله عند المعتزلة وتعريفهم له تعالى إذ يقولون إن ذات الله هي الكمال والظلم لايقع إلا عن كائن غير كامل . فإذن يستند أصحاب هذا الرأى على فكرة الاختيار عند الله ليقرروا أنه تعالى قادر على الظلم ؛ ولكنهم يعودون ويقولون أن الله لا يفعله . ويقول أبو الهذيل في هذا الصدد: إن الله يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لقبحهما وهو تعالى كامل لا يفعل القبيح[3] . ويضيف جعفر بن حرب قوله : إن يسأل هؤلاء المعتزلة : أفمعكم أمان من أن الله لا يفعل الظلم وهو قادر عليه ؟

(أ) قلنا : نعم هو ما أظهر من حكمته وأدلته على نفى الظلم والجور والكذب .

(ب) فيستنتج من ذلك أن المعتزلة القائلين بقدرة الله على الظلم لأنه مختار لأفعاله يذهبون في آخر الأمر إلى القول بأنه لايفعل الظلم لأنه تعالى كامل ولأن الظلم قبيح في ذاته . ولهذين السببين يقولون إن الله مع قدرته على الظلم لا يفعله .

(١) الخياط : الأنتصار ص ٦٦ .
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥١ .
(٣) الشهرستاني : الملل على هامش ابن حزم حـ ١ ص ٦١ ، الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٢٠٠ و ٥٥٥ ابن حزم : الفصل حـ ٤ ص ١٤٧ .

الحل الثاني : القول بعدم القدرة :

يقول النظام وعلى الأسوارى والجاحظ والإسكافى إن الله لايوصف بالقدرة على الظلم والكذب وعلى ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح وأحالوا أن يوصف الله بالقدرة على عذاب المؤمنين والأطفال وإلقائهم فى جهنم[١] لأن المخلوق العاقل فى رأيهم يقدر أن يفعل الشر كما يقدر أن يفعل الخير لأن إرادة الإنسان الحرة يمكنها أن تختار بين الخير والشر وهى تثاب أو تعاقب حسب ما اختارته من أعمال . ولكن لايوجد هـذا الاختيار فى قدرة الله ، لأن قدرته تعالى على قول هؤلاء المعتزلة لم تزل متجهة فقط نحو الخير المطلق . وللنظام حجته فى ذلك . فهو يقول : إن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة إليه فعلا ففى تجويز وقوع القبيح من الله تعالى قبح أيضاً ؛ فيجب أن يكون مانعاً . ففاعل العدل لايوصف بالقدرة على الظلم ، لأنه لو وصف بالقدرة عليه لكان عنده ميل إلى الظلم . وهذا الميل نقص وضعف مما يناقض ماهيته تعالى الكاملة . وخلافاً لمن زعم من المعتزلة أن الله يقدر على أن يظلم ، يقول النظام إننا لا يمكننا أن نصف الله بهذه القدرة لأن ذاته تعالى لم تزل ثابتة وليس فيها أى ضعف أو عجز . لذلك يقول النظام إن الله لايقدر على أن يفعل لعباده فى الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ، كما أنه لايوصف بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئاً ، ولا على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة . وليس ذلك مقدوراً له[٢] لأن الظلم والكذب لا يقعان إلا من جسم ذى آفة . فالواصف لله بالقدرة عليهما قد وصفه بأنه جسم ذو آفة[٣]. ثم هناك قول آخر شديد لأبى جعفر الإسكافى فى هذا الصدد إذ يقول أن الأجسام تدل بما فيها من العقول والنعم التى أنعم الله بها عليها على أن الله ليس بظالم لها . والعقول تدل بأنفسها على أن الله ليس بظالم . فليس يجوز أن يجامع دفوع الظلم منه مادل لنفسه على أن الظلم ليس يقع منه[٤]

* * *

هذان القولان : القول بقدرة الله على الظلم والقول بعدم قدرته تعالى عليه ، ولو أنهما يختلفان إلا أن النتيجة التى يصلان إليها واحدة وهى أن الله لا يظلم أبداً حتى ولو قدر على الظلم . إلا أن أصحاب القول الأول بنوا رأيهم على فكرة وجود الاختيار عند الله فى حين أن أصحاب القول الثانى لايقولون بهذا الاختيار لأن الله فى زعمهم غير مختار وهو الكمال المطلق ، والاختيار تفضيل أمر على أمر وهـذا ليس من خصائص الله تعالى . والذى جعل أصحاب القول الأول يتراجعون ويقولون إنه تعالى لايأتى الظلم هو أن الظلم قبيح فى ذاته وأن الله كمال مطلق . فالفارق بين هؤلاء وهؤلاء فارق نظرى بحت .

ألبير نصرى نادر

دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥ .
(٢) الشهرستانى الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦١
(٣) الخياط : الانتصار ص ٢٧ .
(٤) نفس المصدر ص ٩٠ .

اذكريـــــني

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

اذكريني إذا استفاض الضياء   فاستقرت في خدرها الظلماء
وبدا الفجر شادياً بالأغاني   فإذا الكون فرحة وغناء
هو طفـــل على الروابي غرير   راقص الخطو، باسم، وضاء
تخشع الأرض حين يمشي عليها   وتناجيـــه بالأغاني السماء
ولدته الظلماء مشوقة الليـــ   ـل، ولليـــل شهوة حمراء
أطلعتــه إلى الوجود وجوداً   ملؤه الحب، والمنى، والرجاء
فيه منهـا صبابة وحنين   وبه من عشيقها أهواء
أنت فجر الحياة في قلبيَ البا   كي، وأنت الطبيعة العذراء

واذكريني إذا تراءى الصباحُ   فتهادت في نوره الأرواحُ
ورأيت الطيـور تبعث في الأفـ   ـق أغاريد كلهـا أفراح
ورأيت الزهور يخفق فيها الطـل، والظل، والسنا اللماح
عطرها خمرة القلوب، وإن كا   ن طليقاً لم تحوه الأقـداح
أنت قيثارتي وألحانُ قلبي   ونشيـدي المطار المراح
جنـة أنت في صحارى حياتي   وأنا فيك بلبـــل صداح
في دمي لحنك الشجي، وفي قلـ   ـبي المُعنّى عبيرك الفواح
فاذكريني ماهام في الجو عطر   وتسامى على الرياح جناح

واذكريني إذا الأصيـل تجلى   شاحبَ النور، واهنا، مضمحلاً
أبصر الليـل مسرعا، فاعترته   رهبـة أرعشته نوراً وظلا
كل شيء فيه أراه بقلبي   أملاً راحلا، وعمراً تولّى
أنا مثـل الأصيل تذبل في قلـ   ـبي الأماني كأنني صرت كهلا
لم أمت غير أنني أدرك الموْ   ت بروحي، كأنني مت قبلا
طالمـا رن صوته في حياتي   وبدا طيفه عليهـا مطلا ..
بليتْ جِدَّةُ الشباب كما تَبْـ   ـلى الليالي، وكل شيء سيبـلى
فاذكريني عند الأصيل؛ ففيه   من حيـاتي مشابهٌ تتجلى

واذكريني إذا رأيت الغروبا   والسنا راحـــل يؤم المغيبا
ورأيت السماء قلباً حزيناً   موشكا من صبابة أن يذوبا
فقد الشمس، وهي إلف عزيز   فبـــكى إلفه العزيز الحبيبا
وانحنى ضارعاً يطل عليهـا   وينـادي لعلها أن تجيبا
آه من لوعة الغروب التي تُمْـ   ـلأُ قلـبي صبابة ونحيبا
آه من روعة الغروب التي تُلْـ   ـهِم نفسي فناً جميـلا عجيبا
إن نفسي من الغروب. أراها   وأراه فراشة ولهيبـــا
فاذكريني عند الغروب غروباً   قد أطل الدجى عليه رهيبا

واذكريني إذا المساء طواني   قلق النفس، حائر الوجدان
فإذا بي أرى أمانيَّ تمضي   في فضاء تضل فيـه الأماني
وأحس الظلام ينساب في أغـ   ـوار نفسي، وفي صميم كياني
وأرى الروح، وهي تمضي بعيداً   عن قيود المكان خلف الزمان
أطلقتهـا يد المساء، وقد كا   نت تعـاني في سجنها ما تعاني
فاستقرت في عالم خلقتـــه   قبـل أن تلبس الوجود الثاني
إن هـذا المساء يسمو بروحي   وبنفسي عن عالم الإنسان
فاذكريني عند المساء، ففيـه   تخلص النفس من قيود المكان

واذكريني في الليلة القمراء   والدجى غارق بنهر الضياء
والسماء الضحوك تنساب بالنو   ر، وتُزهى ببـدرها الوضاء
والضياء الشفيف لحن شجي   عزفتـــه ملائك في السماء
والنسيم اللطيف أرواح عشا   ق تغنـــى بحبها في الفضاء
آه من روعة الضياء، وما تبـ   ـعث في النفس من أمانٍ وِضاء
ليتـني كنت ذرة من ضياء   في جواء طليقـــة الأرجاء
ليتنا نعـــبر الفناء بروحيـ   ـنا إلى عالم وراء الفنـاء
حيث نحيـا في عالم الخلد والمجـ
ـهول، والسحر، والرؤى، والخفاء

وإذا ضمك السكون الحبيبُ   في مساء تحن فيـه القلوبُ
فاذكرى أنني أناديك بالرو   ح، وما لي إلا صداها مجيب
وأقول الأشعار فيك، وفيها   مهجة في لظى الجراح تذوب
نحن روحان عاشقان، ولـكن   بيننا في اللقـاء شيء رهيب
أنت في الشام ياشقيقـة نفسي   وأنا ها هنـا بمصرٍ غريب!
عذبتني الحياة حتى لقد صر   ت كأني في نارها مصلوب
كم تمنيت أن أقيم بأرض   أي أرض وأنت مني قريب

غير أن الزمان يسرع بالأيام ، والشمس ... شمس عمرى تغيب

—

وإذا قلت شعرك الولهانا   فاملئيه ضراعة وحنانا
واذكرى أننى أذوّب قلبى   فى قصيدى ، وأسكب الوجدانا
أنت قربتنى ففجرت فى قلـ   ـبى وروحى الغناء والألحانا
ثم أقصيتنى فصارت حياتى   تستثير الأنين والأشجانا
يامنى الروح كيف هان على قلـ   ـبك قلبى ؟ تكلمى ! كيف هانا ؟
رسمك المفتدى يثير حنينى   حين آتيه أنشد السلوانا !
ورسالاتك الرقيقة أتلو   ها ، فأنسى نفسى ، وأنسى الزمانا
فاذكرينى ، فلم يعدلى سوى الذكـ   ـرى عزاء عما انطوى من هوانا

—

واذكرينى إذا طوانى الفناء   كشعاع تضمه الظلماء
فرأيت الحياة تنسلّ من جسـ   ـمى ، كأفق ينسل منه الضياء
ورأيت السكون يرسب فى رو   حى ، فلا نأمة ، ولا أصداء
وتذكرت ما مضى من حياتى   وحياتى مدامع ودماء !
فبكت روحى الحزينة ، والدمـ   ـع من الحزن سلوة وشفاء
هذه سنة الحياة : بكاء   حين نأتى ! وحين نمضى بكاء !
آه من رهبة الفناء ، وإن كا   ن حبيباً إلىّ هذا الفناء ؟
فاذكرينى إذا مضيت عن الدنـ   ـيا وحيداً حتى يحين اللقاء

—

وإذا جئت ياهوى أيامى   من بلاد عطريّة الأنسام
فاذهبى مرة إلى قبرى الثا   وى بعيداً فى المنزل المترامى
والمسيه فى رقة وحنان   إن فيه قلبى ، وفيه حطامى
وضعى زهرة عليه ، وفيها   ألقٌ من جبينك البسام
واسكبى دمعة عليه ، وفيها   سر ما تكتمين من آلام
واقرئى شعرك الرقيق على قبـ   ـرى ، فتهفو من الحنين عظامى
واسمعى شعرىَ المولّه تبكى   فيه أشواق روحى المستهام
واعلمى أننى مضيت عن الدنـ   ـيا ، وما نلت غايتى ومرامى
لم أنل منك ما يخدّر إحسا   سى ، وما ذقت ما يبل أوامى
فقضيت الحياة أمعن فى الأحـ   ـلام حتى فنيت فى الأحلام
وأغـذى الأيام بالوهم حتى   صار عمرى وهما من الأوهام
فاذكرينى مدى الحياة محباً   صادق الحب ، واذكرى أيامى

٣٣٠٤٠

ابراهيم محمد نجا

حرمان . . .

للأستاذ عمر النص

أتكفر بى ياشباب المنى ...   وقد وهبتك يداى الشباب ؟
طمت كبرياؤك حتى سدلت   على ناظرىّ نقاب العذاب
تركت لك الزهو .. زهو الصبا   وودعت تلك الأمانى الكذاب
على مقلتىّ يلوح العياء   وتحنى على كتفىّ الصعاب
وأخرست فى شفتى اللحون   وأطبقت كفى فوق الرباب
وأقبلت أنثر بين يدى   غمار الغدو ومحل الإياب .. !
وألفيتنى فى عباب الذهول   أقلب طرفى خلال السحاب
أحدق على أمسّ الغيوب   وأبصر ماذا وراء الحجاب . ؟!
وأهفو إلى حلم لا أراه   ولكن ألامحه فى الضباب
يطوح بى فى شعاب الظنون   وتقذف بى فى خضم العتاب
أفر له من لهاث الحنين   وأهرب من وسوسات العقاب
نفرت إليه أريح الحشا   فبعثرت فيه المنى والرغاب
فضاء نفضت عليه اليقين   وضيعت فيه الظنون العذاب
طفقت أؤمل فيه الحياة   فلم ألف غير البلى والخراب
وعدت إلى الوهم أسقى الخيال   فغص الخيال وجف الشراب
وكنت ازدريت السراب النوى   فمن ذا يعيد إلىّ السراب ..؟!
تلاشى الشباب .. ولما يكن   سوى ورقة فى الرياح الغضاب
غشى به اليبس قبل اليبنوع   وألقت به الريح فوق التراب !

مشكلات الفلسفة:

في الحـــرية

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

تأخذ الحرية لدى الشبان معنى لا يمكن أن تعرفه ولا أن تتوصل إليه أذهان الشيوخ، ويكون لهذه الكلمة من الوقع في نفوس المقبلين على ميادين الحياة البكر أكثر مما يكون لها عند الذين أشرفت عهودهم على النهاية واقتربت أعمارهم من الختام. فالحرية لا يمكن أن تكون موضوع بحث أو مثار نزاع إلا في الأطوار الأولى من حياة الأفراد، حيث تسبغ البكارة غموضها على كل شيء، وتبعث الطفولة أحلامها في كل معنى، وتقحم المثل الإنسانية تصاويرها من كل جانب. وإذا صح هذا كنا بإزاء نتيجتين: إحداهما أن الحرية تقترن بالجهل دائماً، وثانيهما أن العادة هي العدو الأكبر لما تؤدي إليه الحرية من صنوف العمل وضروب الإنتاج.

ولتوضيح هاتين النظريتين ينبغي أن نبدأ فنؤكد تلك الصلة الوثيقة بين الجهل والحرية عن طريق ما يسمونه في الفلسفة بالممكنات. أليست الممكنات أشياء مجهولة عند من يريد أن يضعها موضع البحث والتأمل؟

نعم، هي كذلك بلا مراء ما دمنا بعيدين عن دائرة الوجود الحقيقي، وما دمنا مقتصرين على تدبر الاحتمالات النظرية بخصوص شأن من الشئون. وكان أرسطو في الفلسفة القديمة يفرق بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل على أساس أن الأول هو الشيء الذي لا يزال في حكم العدم، وإن راودنا الأمل في وجوده بعد حين. أما الأشياء الموجودة بالفعل، فهي تلك التي تقوم من حولنا والتي تظلنا بظلالها وتثقل علينا بوطأتها وتعيش في العالم الظاهر المحسوس. وهناك اختلاف كبير ينبغي أن نلاحظه بين العدم الخالص وبين الوجود بالقوة؛ فهذا على الرغم من أنه غير موجود، يقع في دائرة الإمكان وينظر الإنسان إليه نظرته إلى شيء سيأتي به المستقبل على وجه من الوجوه.

أما العدم، فهو حقيقة خالية من أنه مضمون، ويستحيل أن يكون في المستقبل بحال من الأحوال، ولا يملك في ذاته ما يعينه على أن يتحقق، أي أن يكون شيئاً ما. وعين هذه التفرقة التي وضعها أرسطو هي التي ترددها اليوم فلسفة الوجود على وجه يختلف قليلاً من ناحية الاصطلاح اللفظي ولا يختلف كثيراً من ناحية المضمون المعنوي.

فالفلسفة الوجودية والفلسفات الحديثة عموماً تضع كلمة الممكن في مقابل الاصطلاح الأرسطي (الوجود بالقوة)، وتضع كلمة الوجود للتعبير عما هو قائم في حدود الأشياء الماثلة أو داخل ضمن الكائنات الحية. وكل امتياز للممكن على العدم يتلخص في قدرته على أن يكون، وفي احتوائه على ما يمكن أن يهيئ له الحياة، وفي شموله على المعبر الذي يمكن أن ينقله إلى دائرة الوجود. ولما كان الأمر كذلك بالقياس إليه، فقد صاحب الإنسان عند مواجهته شعور بالإبهام لا يستطيع أن يفسره إلا على أساس من جهله بهذا الشيء — أستغفر الله — بل بهذا اللاشيء. وكلما كان الإنسان في عهد مبكر، وكلما قلت تجاربه وضعفت خبرته كان أقرب إلى هذا الشعور بالجهل. فالوقوف بإزاء المجهول من شأنه أن يولد في النفس إحساساً غريباً بتعدد الوجوه التي يمكن أن تتصور فيها الأشياء، وبكثرة الخطط التي يمكن أن تؤدي إليها المسالك، وبقوة الاحتمال فيما هو ممكن غامض. وإذا زاد الجهل بالإمكانيات إلى هذا الحد استشعر الإنسان بالحرية على نحو لا يمكن أن يخايل صاحب البدع في المشاكل التي تعرض له، أو صاحب المنهج في المباحث التي يوقف نفسه عليها. فالمبادئ والمناهج لا تأتي إلا من كثرة التجارب ومن اعتياد المضي بالأمور على أنحاء محدودة. أما الجهل بما يترتب على فعل من الأفعال وعدم انتظار نوع بالذات من أنواع الموجودات عقب إتيان أمر من الأمور، فمن شأنه أن يولد في صدر الإنسان ضرباً من الحرية، وطرازاً في الاختيار يندر وقوعه في غير هذه الظروف. فالجهل حليف من حلفاء الحرية لا يمكن إنكار أثره أو إهمال مفعوله عندما نحاول أن نقيم نظرية في الاختيار على أساس نظرية في الوجود

ونستطيع أن نثبت هذا الشعور بالحرية لدى الجاهل عن طريق الأمثلة: فالأديب الذي يجهل المراجع الهامة في بحثه يكون

عادة أكثر حرية فى الكلام من الأديب الذى يستوعب كل ما يكون قد قيل أو كتب حول الموضوع الذى يختص به ؛ والسياسى المبتدئ يشعر للحرية رنين لا يمكن أن يطن فى أذن السياسى المحنك ... وقس على هذا المنوال بالنسبة إلى أى شخص فى موقف من هذا القبيل ، أو عند ما يواجه أمراً من الأمور لأول مرة . وليس عبثاً ما كان قد جاء على لسان اسبنوزا فى موضوع الحرية من أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة بالضرورة الحاصلة فى الوجود وبالحتمية الضاربة فى أنحاء الكون . وتقتصر الفائدة المرجوة من وراء الفلسفة والمعرفة الصحيحة فى أنها توقفه على قوانين الأشياء وتجعله قادراً بالتالى على متابعتها ومسايرتها .

وإذا كان من نعمة الجهل علينا أنه يجعلنا ننخدع عن أنفسنا ونحسب أن الحرية ملك أيدينا ، وأننا نفعل ما نشاء أن نفعله من غير أن تتدخل قوة فى الأرض أو فى السماء ، فمن بلوائه — فى مقابل هذا — أنه يملأ قلوبنا بالخوف ، وينشئ فى نفوسنا ضروباً من القلق ، ويبعث فى نفوسنا ألواناً من الجزع والهم . وذلك طبيعى ومعقول جداً إذا أنعمنا النظر فى الحقيقة الماثلة أمامنا وتبينا فيها ملامح الغموض والإبهام وعدم التعين . فالإنسان فى أمثال هذه المواقف يحس بالجزع حينما يواجه عالماً مستتراً غير معلوم لديه وليس داخلاً فى نطاق تجاربه الذاتية . ويمكن أن نشبه هذه الحالة بموقف رجل للمرة الأولى أمام الميزان الذى لا يعمل إلا بعد وضع قرش مثقوب فيه . إنه لا شك سيحس بنوع من الخوف على القرش طيلة الأمد الذى يسبق خروج التذكرة المكتوبة . أما الرجل المتحضر المجرب لمثل هذه الآلة مرات ومرات فلا دخل للجزع فى عمله هذا على الإطلاق ، ولا يكاد يحس بأى إشفاق على القرش وهو يلقى به من داخل الثقب .

كذلك الأمر بالنسبة إلى الفتى الذى يصوب عينيه نحو الزمن ، هو يفض بالممكنات من طريق المستقبل الغامض المجهول . يتملكه الذعر ويهزه الخوف على ذلك الشيء الخفى وهو قاب قوسين أو أدنى من العدم . إنه يشرف على حقيقة الوجود وهى فى طريقها أن تكون على نحو من الأنحاء لا يعلم مداه ولا يدرك منتهاه . حتى العلم الطبيعى الذى كان مجالا من مجالات الثبات واليقين قد فقد كل الصفات الحتمية والاطراد . فأصبح العالم غير متأكد من خلوص التجارب إلى نفس ما خلصت إليه فى الماضى على الرغم من توافر كل ما من شأنه أن يكفيها ويهيئها للحدوث على وجه واحد بالذات . فالإنسان عند ما يواجه تجربة من أى نوع لأول مرة يكون فى خوف من ألا تكون ؛ أو أن تكون ولكن على نحو غير الذى يؤمل فيه ويطمح إليه . وقد تتغلب المعرفة أو التجارب الكثيرة على هذا الشعور بالخوف ولكنها لا تقضى عليه قضاء تاماً إلا بعد أن تتدخل العادة . وهى كما قلنا فى صدر هذا المقال عدو الحرية الأكبر .

فالعادة من شأنها أن تفسد دلالة الحرية من جانبين : جانب الآلية فى إتيان الأعمال وإصدار الحركات ، وجانب الشعور بالاطمئنان عند مواجهة الكونات المستترة فى ضمير الغيب . ويقول رافيسون فى كتابه عن العادة إنها توحى — كما توحى الأفعال الغريزية — بالجنوح إلى هدف مقصود من غير ما إرادة أو شعور . وهذا صحيح من ناحية كونه دليلا على خلو العادة من الإحساس أو من البطانة الوجدانية كما يقول علماء النفس . فيصعب أن تقول بوجود أى نوع من أنواع المخاوف وأى ضرب من ضروب المنازع عند أداء الأفعال التعودية . وبناء على ذلك تمحى كل حرية وتزول كل إرادة وتختفى مشابه الاختيار الذاتى ، فهذه كلها لا تتوفر إلا حينما كان الإنسان قادراً على الانفعال لها والاهتمام بشأنها والتوتر من أجلها .

والحرية من شأنها أن تبعث فى الإنسان ألواناً من الخوف والفزع ، لسبب بسيط وهو أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجوده ومماته . فيكفى أن تتصور أنك أنت صاحب الأمر والنهى فى إعداد حياتك وفى تقرير مصيرك وفى تكييف أقدارك حتى تنفجر فى رأسك عيون الخوف ، وحتى تثور فى صدرك عوامل الرعب ، وحتى تنتاب جسمك عوارض الحمى ... فأنا مثلاً أقرر مصيرى — ككاتب — على هذه الورقة البسيطة البيضاء تحت عينى وأضع لنفسى قيوداً من الرأى لا أستطيع الفكاك منها حين يأتى المستقبل . وانظر على هذا النحو فى حياة الناس وتأمل

أفعالهم على ضوء كل من المادة والحرية فتجد أن الأفعال الحرة وحدها هي التي يوازيها على طول الامتداد شعور بالقلق ويحس صاحبها بأنه يأتيها لأول مرة . وذلك لأنها مشدودة إلى كيانه شداً بحيث لا يملك في النهاية إلا أن يخضع لها وأن يكون مأسوراً بها .

والحق أن الأفعال الحرة الواعية لا يزاملها الشعور بالقلق وحده ، وإنما يرافقها أيضاً — إلى جانب هذا — إحساس خفي بالهم . ولنضرب لهذا مثلاً بواحد من الناس الذين يملكون الوقت من أجل الذهاب إلى المسرح أو التنزه في الخلاء أو البقاء في البيت أو القيام بزيارة صديق . ولنفرض مقدماً أن هذا الشخص هو بعض الذين يهمهم الوقت ويحسون بعامل الزمن إحساساً قوياً في معاشهم بحيث يضطربون لانقضائه حينما يمضي هباء . سيضطر أولاً إلى عملية الاختيار ، وهي عملية قد تكون سهلة عند الإنسان العادي بحكم انصرافه عن التفكير أو بحكم تركه للأمور في أيدي القادر . أما الشخص الحر الواعي فسيضع أساساً للاختيار وسيعرف في قرارة نفسه بأن ثلاث ساعات متصلة ستضيع من عمره ومن حياته في هذا الفعل البسيط وأنه أقمن به أن يستفيد من بقائه على الأرض على أفضل وجه ممكن . ولا شك أن وجوده بأكمله ينقسم إلى جزئيات من هذا القبيل فعنايته بساعة من عمره تضارع عنايته بكل هذه الساعات التي يقضيها على وجه البسيطة . والعالم الخارجي من شأنه أن يقدم إليه الإمكانيات حتى يبذل من لدنه ما يحيلها إلى وجود ، ويصرف من طاقته الخاصة ما يبعثها من جمودها ويبث فيها الحياة ... قد تكون المجالات محدودة أمامه ، وقد تكون الإمكانيات ممدودة عليه ؛ ولكنها مع هذا كله تدع له فرصة للاختيار ؛ وفي الاختيار وحده ينحصر وجوده ويتحدد معاشه .

فهناك أنواع كثيرة من الوسائل التي تقدم للانسان متعاً تلذه ومباهج تريحه وأدوات لتثقيف الذوق وتهذيب الروح . قد تكون هذه الوسائل محدودة في المجتمع الذي نعيش فيه ، ولكننا مع ذلك نحكم رأينا ونعلي فرديتنا عليها بعملية من الاختيار الواعي؛ وكلما زدنا جهلاً بالمجالات التي يتيحها لنا المجتمع ارتفعت قيمة الحرية وازداد قدرها . فلو أنني مثلاً لا أعرف غير أربعة وسائل من وسائل التسلية ومن أنواع الملاهي في القاهرة لكان اختياري بنسبة (١ : ٤) أي أن حريتي حينئذ تساوي الربع . أما إذا كنت أعرف اثنتين فحسب كانت النسبة (١ : ٢) أي أن حريتي آنئذ تساوي النصف .

وهكذا يحدث عندي الشعور بالقلق من ناحية الاختيار ، أما الهم فيتولد عندي إحساس به وأشعر كأنما يثقل على صدري من جراء الأسف على ضياع الإمكانيات الأخرى عندما أحدد رغبتي وأثبت إرادتي على شيء بالذات . فأنا مثلاً عندما أذهب إلى المسرح أحس بالهم من جراء طمعي في أن أحصل على أقصى ما يمكن أن تهبني إياه الحياة . ونتيجة لشهوتي في إحتلاب كل ثانية تمر بي واعتصار كل لحظة تمضي علي وأنا حي أرزق . ولذلك تراني في المسرح مهموماً من أجل تلك الإمكانيات الأخرى (التنزه في الخلاء — البقاء في البيت — زيارة الصديق) التي قتلتها بيدي وأعدمتها بمحض إرادتي مع أنها قد تكون أعود علي بالخير من كل ما أنا فيه من استمتاع أو حبور ... ولكن يكفي بعد هذا أن أحس بأنني قد اخترت وأنا حر من كل قيد ، وأن مسئولية هذا الاختيار تقع على عاتقي وأن كل شيء يأتي عن إرادة أفضل بمئات المرات من أسعد الأوقات التي يمضيها الإنسان عن غير رغبة : أقول يكفي هذا كيما أطامن في نفسي من شدة الشعور بالحسرة وأواجه الحياة بقوة وجلد .

وهكذا تقترن الحرية بنوع من المثالية الخالصة ومن الفدائية العصماء فتكسب وجودنا ألواناً من البهجة الخالية من الزيف والبريق ، وتسبغ على حياتنا غير قليل من الصراحة وتشعرنا في قرارة أنفسنا أننا في بؤس ولكن عن إرادة ، وفي حزن ولكن عن إرادة ، وفي هم ولكن باختيارنا ، وفي حزن ولكن برغبتنا . وهكذا نحن نحمي أنفسنا من مرارة الحياة ونرضي غرور الإنسان القوي منا والضعيف .

عبد الفتاح الديدي

سيكولوجية الجنس (*)

للأستاذ محمد محمد على

السيكولوجيا أو علم النفس هو العلم الذى يدرس سلوك العقل أو الشعور . وبالطبع ليس للجنس sex عقل ولا شعور ولكن عندما نتكلم عن سيكولوجية الجنس إنما نعنى دراسة ذلك الجزء من العقل الذى يتأثر بالحياة الجنسية . وفى أواخر القرن الماضى ظهر فرويد بنظرياته — التى أذهلت العالم ، والتى ترى معظمها أن العقل ليس هو الشعور ، ولكنه خليط أو جمع بين الشعور واللاشعور . ومنذ ذلك الحين ، حاول المربون وعلماء النفس ، الكشف عن المكان الحقيقى للجنس فى ذلك الخليط . وكلنا سيكولوجيون ؛ على الأقل على طريقة الرجل الذى يتكلم النثر طول حياته من غير أن يعرفه ! فإذا قلنا لأحد شيئاً ، فإننا نعرف ماذا يجيب ، وذلك باستخدام معلوماتنا عن علم النفس . فمثلا إذا سألنا أحداً فى يوم مطير : « جو مخيف ! أليس كذلك ؟ نعرف أن الإجابة غالباً ماتتفق وسؤالنا .

وقد تساءل علماء النفس عن مكانة الجنس فى النمو العقلى . وليس هناك من يجيب إجابة صحيحة . فقد ذهب بعض أتباع فرويد ، وقرروا أن الحياة الجنسية تتحكم فى نمو الفرد العقلى .

إن الغريزة الجنسية ترمى إلى استمرار النوع ، فهى تأتى بعد المحافظة على النفس التى تضم كل الغرائز . وفى ظل المدنية لا بد من السيطرة على الغرائز . وبسبب هذه السيطرة ، نسمو بالغريزة الجنسية ، فنقول مثلا فى المناسبات : السيدات والأطفال أولا . وبسببها أيضاً أمسك الناس عن ذكر المسائل الجنسية إلا فى غرفة النوم . وظهر الخجل عند تعليمها . وهذه السيطرة هى مايسميها علماء النفس : كبت الغرائز . ويرجع كثير من الناس بالجنس إلى وراء ، فيتجنبون ما يشغل جزءاً كبيراً من حياتهم . يحاولون أن ينسوه . وإذا رزقوا أطفالاً لم يعلموهم شيئاً عن الأمور الجنسية ، فلو سألهم أطفالهم مايسمى بالأسئلة المخجلة — وهى الأسئلة التى يوجهها الأطفال عادة إلى آبائهم — فإن الآباء يحاولون إسكاتهم ويخبرونهم كذبا !

إن الكبت الشديد يجلب التأخر والهبوط ، وهو مرض خطير ، يختلف عن ضبط النفس الذى هو مواجهة شريفة شعورية للواقع ، وليس هذا بالأمر السهل ، إنما يخلو من الصراع بين الدوافع البيولوجية والعقلية . وضبط النسل كبت للغريزة الجنسية الطبيعية ، لأن له نفس الأثر فى تحديد السكان ، كطريقة الحيوان فى بقاء الأصلح . وفى الحق إن ضبط النسل الحديث ليس فيه شيء من « بقاء الأصلح » إنما يضمن حياة الأسر المحدودة ؛ فكل أعضاء الأسر الصغيرة لديهم الفرصة ليكونوا « صالحين » لأنهم ينالون نفس العناية والغذاء كما لو كانوا موزعين فى أسر أكبر .

قلنا إن الغريزة الجنسية تتلو غريزة المحافظة على النوع . فالشعور بالجوع ، دافع قوى غريزى للمحافظة على النفس ، ولكن الغرائز فى حاجة إلى كبت — إلى حد مخصوص — ، وإلا فإن الفرد يصبح نهماً أو مجنوناً جنسياً ، مما يؤدى به إلى مخفر الشرطة أو مستشفى الأمراض العقلية .

إن مشكلة الحب قد راقت كثيرين من علماء النفس . فقد كان معتقداً أن الحب والكراهية ضدان . ولكن تعاليم فرويد دلت على أن لاتعارض بينهما . وما الكراهية إلا جزء من الحب . وليس هناك حب خال من شيء من الكراهية وشيء من العواطف الأخرى ، التى تكون فى مجموعها الحب .

ومن الثابت أن الشعور الجنسى فينا جميعاً يختلف تبعاً للوقت . ولكنه لم يثبت كيف يختلف التأثير الجنسى فى حياة الفرد اليومية . فليست غريزتنا الجنسية وغرائز جيراننا هى التى تؤثر فينا فحسب ، بل إن أولئك الذين لم نرهم يمكن أن يغيروا حياتنا . فالشذوذ الجنسى — فى رجل مثل هتلر — قد أثر فى حياته ، وبالتالى فى العالم أجمع .

ولما درس علم النفس كعلم ، بدأ الناس يعرفون الدور الحيوى الذى يقوم به الجنس فى حياة الفرد اليومية ، وتنبه الباحثون إلى مسألة لها من الأهمية مثلما لدور الجنس فى الحياة ؛ وهى كيف تؤثر ظروف الحياة فى الغريزة الجنسية ؟ نحن نعلم أن الشخص

(*) تلخيص من كتابى : Sex problems and youth, &The technique of sex

الجائع — بصرف النظر عن حاجته للاشباع الجنسى — يهتم بمعدته أولا . ولكن ماذا عن الأم ؟ لئن كانت الأم جائعة ، فان شعورها وغريزتها تدفعانها إلى إطعام أطفالها قبل نفسها . ولقد قيل إن غريزة الأمومة جزء من الغريزة الجنسية . وإذا جمع الحب الخالص بين شخصين فإن شعورهما نحو بعضهما يمكن أن يظل ثابتاً أمام تيار الحظ السيء . كمثل الزوجين ، يتحمل كل منهما صاحبه فى السراء والضراء . ولكن حينما كان النمو الجنسى لأحد الطرفين أو كليهما ليس من هذا القبيل ، فان تغييراً طفيفاً فى الحظوظ ، كفيل بانفصال الشريكين .

وإذا تحاب اثنان فانهما يتصوران أن لا شيء يشغل بالهما سوى الأفكار الجنسية . كم مليون من الرجال يرتكبون خطايا طيلة يومهم ، ثم ينسونها وهم فى صحبة امرأة فى المساء ! إن كل شيء ينسى فى نشوة اللذة الجنسية . يحسب الرفيقان أن الناس قد غفلوا عنهما ولكن نقر الباب أو صوت التليفون قمين بأن يرجع بهما سريعاً إلى تعقل ماحولهما ومعرفته ! ويتساءل بعض الناس : لئن كانت الحياة الجنسية عاملا فعالا فى النمو العقلى ، فلماذا يجتاحنا النشاط الجنسى بقوة عارمة فى غالب الأحيان ؟ الجواب هو أن هذا الاجتياح ضرورى لإزالة العقبات التى تقف فى سبيل هذا النشاط ، كالخطايا اليومية .

ويحلو للكثيرين أن يقرروا أن ذوى الاسترخاء الجنسى بعوائدهم impoteats فى حل من الوقوع تحت السيطرة الجنسية . ولكن هذا لايحدث فهم قد ولدوا نتيجة للجنس ، ثم إن علاقتهم بالآخرين تتحكم فيها عقول هؤلاء . فبطريق غير مباشر يتأثرون بالحياة الجنسية .

يختلف الناس فى تأثرهم بالغريزة الجنسية ، فنهم العاطفى ومنهم من يقال عنه إنه : بارد . وبعضهم ذو مثلية[1] جنسية ، والبعض الآخر يكره المرأة misogynst وقد جادت قريحة أحد العلماء بنظرية خطيرة ، هى نظرية الثنائية الجنسية bisexualjty ، التى تقرر أن الإنسان يولد وفيه شعور أو ميل جنسى نحو الجنسين .

وفى الفرد العادى يكون الشعور نحو الجنس الآخر متغلباً ، إنما لا يختفى الشعور الجنسى نحو نفس الجنس ! ومن السهل أن نتصور بالعقل تلك الحقيقة الواقعة فى الجسم . فلكل رجل ثديان ، وهما — قبل كل شيء — أعضاء تناسلية ثانوية للأنثى والأفراد العاديون هم الذين لهم أصدقاء من كلا الجنسين . أما عند غير العاديين ، فان التوازن يختل ، إما لأنهم ولدوا كذلك ، أو لأن ظروفاً خارجية أوجدتهم فى حالتهم هذه .

إن الوضع الاقتصادى — وهو جزء من مدنيتنا — منظم ليجعل الظروف المحيطة بجماعة ، تختلف عن الظروف المحيطة بجماعة أخرى . وتأثير الوضع الاقتصادى على الحياة الجنسية لبعض الفتيات ، يظهر بوضوح فى عقول الموسات اللائى جعلن الغريزة الجنسية تساعد غريزة المحافظة على النفس ، وتصبح تحت سيطرتها . عندهن أن البغاء هو الطريق الوحيد للارتزاق . على أنه يمكن أن نميز بينهن متزوجات !

وبوجود الصراع المستمر فى عقولنا ، يصعب علينا أن ندخل السرور إلى نفوسنا . ومثل هذا الصراع يوجد فى عقول الذين هم فى حاجة إلى الإشباع الجنسى ، أو الذين يجهدون أنفسهم جنسياً أكثر مما يتحملون . ويلاحظ بوجه عام الذين يعيشون عيشة رغدة ناجحة ، تكون حياتهم التناسلية لا غبار عليها ، ومن تكون حياتهم التناسلية طبيعية ، ينجحون فى حياتهم الاجتماعية .

إن علم النفس لا يزال فى المهد ، وقد علمنا الشيء الكثير عن خطايا الناس وأثرها فى حياتهم . كا عمل ولا يزال يعمل — على إدخال السرور فى قلوب الناس . إنه يحررنا من كثير من أنواع الكبت التى كنا نراها ضرورية ، ثم يتبين لنا اليوم أنها تضايقنا . وأخيراً هو المسئول عن حركة التثقيف الجنسى .

محمد محمد على

---

[1] Homosexuality أى العلاقة الجنسية بين فردين من جنس واحد ، بين ذكرين أو أنثيين : وهى جزء من الشذوذ الجنسى الذى هو أعم : sexual ahnormality.

باحثة البادية

لمناسبة ذكراها الثانية والثلاثين

للأستاذ عبد الجواد سليمان

أول ما توحي به إلينا ذكرى باحثة البادية (ملك حفني ناصف) من معان وعبر، إنما هو النهضة النسائية في مصر في معناها الوطني الصادق.

فلقد كانت رحمها الله، أول فتاة مصرية حصلت على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ وعمرها إذ ذاك لا يتجاوز الثالثة عشرة، ثم انتقلت إلى القسم العالي بالمدرسة السنية، وحصلت على شهادته العالية، وعملت مدرسة بالمدارس الأميرية.

لقد كانت باحثة البادية مثالاً صادقاً ونموذجاً كاملاً للفتاة المصرية في طباعها ووطنيتها؛ فالظرف المصري أصيل في طبعها، إذ كان يتمثل في كتابتها وفي نكتها اللاذعة التي تسعفها بها بديهتها الحاضرة وسرعة خاطرها، والتي تزينها تهكم لا مرارة فيه في مثل قولها «فما أقدر زوج الضرتين على التفنن، ولو أنصفوا لعينوا زوج كل اثنتين سياسياً أو ناظراً للمستعمرات؛ ولكن الذي يؤسف له أنا ليس لنا مستعمرات» وفي مثل قولها (يقول لنا الرجال ويجزمون: إنكن خلقتن للبيت، ونحن خلقنا لجلب المعاش، فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله؟ إنهم لو أنصفوا ولم يتحزبوا، لما عيرونا بأنا قليلات النبوغ، وأنه لم يسمع بأن إحدانا غيرت قاعدة في الحساب والهندسة مثلاً، وليتفضل أحدهم بإخبارنا عما استنبطه من تلك القواعد، فنحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم أعمالهم، ولكني لو كنت ركبت المركب مع (خريستوف كلومب) لما تعذر على أنا أيضاً أن أكتشف أمريكا.

أما وطنيتها فتتمثل في حبها لكل ما هو مصري ورفضها أن تأخذ من مدنية الغرب إلا ما هو ضروري، وبشرط أن يصبغ بالصبغة المصرية ويطبع بطابعها. كقولها: «ما أحلى السمرة الجاذبة، لو فهمنا معناها، إنها جميلة لأنها مصرية، ولو لم يكن فيها غير المصرية والطبيعة لكفى».

وكقولها: «إذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ألا نقتبس من المدنية الأوربية إلا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا، نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل، نقتبس منها أساليب التعليم والتربية ... وإنما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال أن نندمج في الغرب فنقضي على ما بقي لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة».

لقد تأثرت باحثة البادية ببيئتها تأثراً بعيداً فتخرجت كاتبة وشاعرة وناقدة وخطيبة ومصلحة؛ فأبوها المرحوم (حفني بك ناصف) العالم اللغوي والكاتب الضليع والشاعر الفكه كبير مفتشي اللغة العربية بمصر، وزوجها العربي الصميم المرحوم (عبد الستار بك الباسل) من بيت مجد أثيل وحسب عربي عريق وهو من وجهاء قبيلة الرماح بالفيوم.

وقد دبجت يراعتها كثيراً من المقالات البليغة والبحوث العميقة والرسائل الممتعة التي امتازت بالسلاسة والوضوح والتي خصت بها صحيفتي: (المؤيد) و(المحروسة)، وحسبها دليلاً على بلاغتها، أن يشهد لها أمراء البيان في مصر، من هؤلاء أحمد لطفي السيد باشا بقوله فيها (أما انتقاد رسائلها من جهة صناعة الكتابة فحسبي أن أقرر من غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر).

والشيخ عبد الكريم سلمان بقوله (إني رأيت في كتابة هذه السيدة حدة في بعض الموضوعات، وكأنها معذورة في حدتها لامتلاك الموضوع نفسها وحواسها» وأحمد زكي باشا بقوله (إنها أعادت لنا ذلك العصر الذهبي الذي كانت فيه ذوات المصائب يناضلن أرباب العمائم في ميداني الكتابة والخطابة).

وحافظ بك إبراهيم بقوله:

لله درك إن نثرت ودر حفني إن نثر

ولقد توفرت لها شروط النقد من سلامة الفطرة وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع، فكان نقدها ينصب على المجتمع المصري الذي ظلم المرأة وسلبها حقوقها من قولها في ذلك (المرأة المصرية مسلوبة الحق مظلومة في كل أدوار حياتها، نراها يتشاءم منها

حتى وهي جنين ، فإذا ظهرت مولودة تستقبلها الجباه مقطبة والصدور منقبضة والثغور صامتة) .

وقولها في استبداد الرجال بالنساء : (بعض النساء يهددن بالفراق إذا لم يعطين أزواجهن ما يطلبون ، ويذكر لهن الزواج إرهاباً ، فأي الأمرين تختار الزوجة البائسة ؟ المرأة مظلومة دائماً ، إذا كانت فقيرة لا يرغب فيها ، وإن كانت وارثة يطمع في مالها ، والوارثة مظلومة أيضاً ، فإما ألا تتزوج لتأمن الطمع والطامعين ، وإما أن تتزوج على غير بصيرة كعادتنا) .

وقولها ساخطة على سياسة بعض الآباء (لا أحب الرجل يتكبر على أهله وأولاده فيظهر لهم بمظهر الجبار المنيف ويظن أن ذلك استجلاب للهيبة وهو لا يعلم بما يشعرون ، وهذا التجبر من جانب الأب يضعف الأخلاق في الطفل ويفسدها إذ يربي فيه الجبن والذل ثم الاستبداد متى كبر) .

والإصلاح عادة وليد النقد ، وباحثة البادية قد حاولت الإصلاح عن طريق النقد ، فرأيناها تنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة بقلبها ولسانها ؛ فمن خطبها في نادي حزب الأمة (والأوفق أن نسعى للوفاق جهدنا ونزيل سوء التفاهم والتحزب لنحل بدلهما الثقة والإنصاف ولنبحث أولاً في نقط الخلاف) .

أما شعرها فهو عصارة روحها وذوب نفسها ، إذ تغلب عليه خفة الروح تارة والتهكم الشديد تارة أخرى ؛ هذا إلى بعده عن التعقيد وذخره بالمعاني ودلالته على نضوج الفكر ، ومنه في رثاء عائشة التيمورية :

ألا يا موت ويحك لم تراع حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركت الكتب باكية بكاء يشيب الطفل في عهد الرضاع
فذب يا قلب لا تك في جمود وزد يا دمع لا تك في امتناع
سنبقى بعد عائشة حيارى كسرب في الفلاة بغير راع

ومنه في الفتاة :

إن الفتاة حديقة وحياؤها كالماء موقوفاً عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسي حللا يروق الناظرين رواؤها
لا خير في حسن الفتاة وعلمها إن كان في غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها إنما للناس فيها دينها ووفاؤها

وفي الفتاة تقول :

مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعمل
والمرء يعمل في الحقو ل وعرسه في المنزل

ومن قولها في السفور والحجاب ترد على شوقي بك :

أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجا ب فقصري أو طولي
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألي
لا أبتغي غير الفضيلة للنساء فأجملي

التحقت باحثة البادية بالرفيق الأعلى ليلة الخميس الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩١٨ بعد أن أدت رسالتها أحسن الأداء ، وقدمت للمرأة المصرية أجل الخدمات ، ومهدت السبيل لمن أتين بعدها فسرن في طريق معبدة ، ونلن بعض ما لهن من حقوق في الحياة الاجتماعية ، فمن حقها عليهن أن يخلدن ذكراها ولو بالاكتتاب في مشروع نسوي نافع باسمها أو إحياء آثارها الأدبية ...

عبد الجواد سليمان

المدرس بعملحات سوهاج

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الوساطة في التعليم :

لا شك أن الأزمة القائمة في قبول الطلاب بالمدارس ومعاهد التعليم المختلفة ، يعاني كثير من الناس شرها ، ويلاقون فيها الضيق والعنت ، ولا تقتصر الآفة على مظاهرها القريبة البادية ، فإن لها آثاراً بعيدة غير هذه المظاهر . إن الوالد اللهيف الحريص تعليم ولده لايدخر وسعاً في رجاء أصدقائه ومن يلوذ بهم من ذوى النفوذ في القبول بالمدارس ، من كبير في الوزارة أو ناظر أو ناظرة أو مدرس أو مدرسة ، أو من يتـذرع بهم إلى هؤلاء — هذا الوالد ، وهو مثل من كثير ، يعدُّ الأزمة منتهية بقبول ولده في المدرسة أو الكلية ، ولـكن هناك أثراً بعيداً غائراً في نفس الولد ، فقد قر عنده أن « كل شيء بالواسطة » حتى دخول المدارس . سينسى متاعب أبيه في سبيل إدخاله المدرسة ، وما بذله في هذا السبيل من وقت وجهد كان عمله في حاجة إليهما ، وما عساه أن يكون قد شعر به من الحرج في رجاء النـاس ؛ ولـكنه لن ينسى أن « الواسطة » مفتاح الباب المغلق ولو كان باب العلم .

ويا لحسرة الواقفين وراء الأسوار والأبواب .. إنهم هم أيضاً تتفتح أعينهم على أن « كل شيء بالواسطة » فهم يندبون حظهم لأنهم لا وسيط لهم .. حتى من لاتنفع في حالته الوساطة لو تيسرت كمن كبرت سنه وكثر رسوبه ، إن هذا أيضاً يدعى أنه محروم لفقدان الوسيط . .

وما بال هذا الذى تتحقق في ولده شروط القبول وتتوافر له أسباب الأولوية ، من ملاءمة السن وتقدم في النجاح ونحو ذلك ، ما باله يهرع إلى من يوصى بولده ؟ إنه يعيش في الجو ... ويخيل إليه أن الوساطة أول الشروط ! وهناك كثير من الناس يرون في اتخاذ الوساطة مظهراً للوجاهة ودلالة على علو المـكانة ، فالمقصد عندهم هين في ذاته جليل بجلالة الوسيط ...

وهكذا يتفتح الجيل الناشىء الغض على منظر هذا الداء ، فيألفه ويتصوره أمراً عادياً ليس فيه من عوج ولا أمت . وقد تلق عليهم في بعض الدروس أشياء عن الحقوق والواجبات والعدالة والمساواة وما إلى ذلك ، فيأخذونه على أنه كلام ينفع في الامتحان أما الحياة الواقعة فقد رأوا فيها بأعينهم « تطبيقات » على غير ذلك

وبعد فذلك وجه من وجوه أزمة القبول في دور العلم ، وهو من أوجهها الخفية البعيدة ، وما أرى للداء دواء غير أن يقتلع من جذوره بتيسير العلم لطلابه وتعليم الراغبين في التعليم ؛ وإنه لمن تضييع الفوائد أن يهمل هذا الإقبال الشديد الدال على شدة الرغبة والتعطش دون انتهازه للقضاء على الجهل والأمية ، ومن الحمق أن نصد الصغار عن التعليم لنـكافح الجهل والأمية فيهم كباراً .

إلى معالي وزير المعارف :

كتب إليّ أحد إخواننا المدرسين يقول إنه حرر (الاستمارة) التى اعتاد أن يكتبها في أول كل عام دراسى ، لطلب تعليم أولاده بمصروفات مخفضة ، وله ثلاثة أولاد في روضة الأطفال ، فردت منطقة القاهرة الشمالية (الاستمارة) بعد أن كتبت عليها : « معاد إلى حضرة الأستاذ ... للعلم بأن قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٣ / ١ / ٤٩ لا يعطى الحق في التماسه هذا إذ أن الإعفاء من المصروفات للمدرسين لاينصب إلا على التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية وما في حكمها . مع قبول الاحترام »

ومعنى ذلك حرمان المدرس المنحة التى كانت تجرى عليها الوزارة في معاملة أولاد المدرسين برياض الأطفال ، والتى تقضى بأن يكون الولد الأول بمصروفات كاملة وأن يعفى الأربعة الذين يلونه من نصف المصروفات ثم يعفى من يلى هؤلاء إعفاء كاملاً . فـكيف أقدمت وزارة المعارف على ذلك وهى التى تعمـل على التخفيف عن المدرسين في نفقات أولادهم المدرسية ؟

علمت أن الوزارة أصدرت منشـوراً يتضمن الأمر بإبطال العمل السابق ، والاكتفاء بتطبيق قرار مجلس الوزراء الصادر في ٢٣ / ١ / ٤٩ وهو يقضى بإعفاء أولاد المدرسين من مصروفات التعليم الثانوى وما في مستواه لمن يثبت منهم أنه يدفع مصروفات

مدرسية لطالب واحد فى مرحلة تعليمية غير المرحلة الأولى .

والذى يستوقف النظر أن هذا « المنشور » بنى على أساس أن القرار الأخير أعم وأوسع فى مزاياه من القرار الأول وأكثر منه تيسيراً وتمكيناً لرجال التعليم من تعليم أبنائهم دون إرهاق !! فكيف يصدق هذا بالنسبة إلى ذوى الأطفال الذين يتعلمون فى الرياض ؟ لقد سلبوا ما كانوا يتمتعون به فيما مضى ، ولم يجدهم القرار الأخير شيئاً !

وبعد فإلى معالى وزير المعارف الجديد محمد حسن العشماوى باشا يساق الحديث ، وهو زعيم الإصلاح الاجتماعى ورجل قضاء وعدل ، ولا أشك فى أنه سيعير الأمر ما هو جدير به من عناية المصلح العادل واهتمامه ، تقديراً لما يقوم به المعلمون من جهود فى أداء الرسالة التعليمية .

كشكول الأسبوع

□ وصل إلى الأسكندرية يوم السبت الماضى عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك عائداً من أوربا ، وقد كتب إلى « الأهرام » عقب وصوله ما يلى : « لم أكد أصل إلى الأسكندرية حتى أنبئت أن مجلة « القصة » التى تصدر عن دار النداء تنشر لى مقالات وتتخذ اسمى وسيلة إلى الإعلان ؛ فآسف أشد الأسف لأنى لم أستأذن فى شىء من ذلك ولم آذن به ، وسأتخذ ما يقتضيه ذلك من إجراء » ورد رئيس تحرير المجلة بأن دار النداء دفعت ثمن القصص التى نشرت . وقد علمت أن هذا الثمن دفع لقاء نشر القصص بالنداء ، أما تكرار نشرها بمجلة القصة فشىء آخر .

□ تلقى « صاحب الكشكول » من الأستاذ عبده حسن الزيات المحامى رسالة يقول فيها إنه قرأ فى الكشكول اسم « محمد عبده حسن الزيات » ضمن الأساتذة الذين تألفت منهم لجنة ديوان ابن الرومى ، وشاء تواضع الأستاذ الكبير وظرفه أن يدفع مظنة كونه المقصود كى لا يوجه نقد إلى وزارة المعارف ... والواقع أن المقصود فى عضوية اللجنة هو الدكتور محمد حسن الزيات المدرس فى كلية الآداب بجامعة فاروق ، وهو شقيق الأستاذ العلم عبده حسن الزيات .

□ أعلنت الأكاديمية السويدية أن جائزة نوبل للأدب لن تمنح هذا العام لأحد ، إذ لم يحصل أى واحد من المرشحين على أكثرية الأصوات اللازمة لنيل الجائزة

□ رقى إلى الدرجة الرابعة الأستاذ كامل محمود حبيب « مصور الحياة » فى الرسالة . وهو وكيل إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف . ولا شك أنه جدير بتهنئة قرائه ، أما نحن فنهنئ أنفسنا

□ نعى الأستاذ التابعى فى « آخر ساعة » على أدبائنا الذين يتسابقون إلى الكتابة فى ذكريات أدباء الغرب وفنانيه دون أن يهتموا بذكرى أديب أو موسيقى عربى ، قديم أو حديث . وعزا الأستاذ ذلك إلى مركب النقص الذى يحمل هؤلاء على التظاهر والادعاء بأنهم ضلماء فى أدب الغرب .

□ كتبت مجلة الإذاعة المصرية فى عددها الأخير ما يلى : « قدم حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك عرضاً وتحليلا لقصة (الحسب والنسب) التى ألفها الكاتب الروائى محمود بك تيمور ! » وهى تقصد مسرحية « ابن الحسب والنسب » المترجمة عن الفرنسية التى مثلتها الفرقة المصرية أخيراً ... فكيف ألفها تيمور بك ياجهابذة الإذاعة ... ؟

□ تم يوم الخميس الماضى عقد الاتفاقية الثقافية بين مصر والولايات المتحدة ، وهى تقضى بأن تنشىء الولايات المتحدة فى مصر إدارة ثقافية لتنظيم البرنامج الثقافى بين البلدين

□ اعتزمت الفرقة المصرية أن تقوم برحلة تمثيلية ، بعد انتهاء مدتها بالأوبرا ، فى يناير القادم إلى تونس والجزائر ومراكش ، وتستغرق هذه الرحلة شهرين ، وتقدم فى خلالها روايات ذات طابع عربى كالناصر وحواء الخالدة وسر الحاكم بأمر الله .

أعظم ما كتب يوسف وهبى :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالى فى الأوبرا الملكية برواية « اليوم خمر » ثم مثلت بعدها رواية « ابن الحسب والنسب » فكان ابتداء حسناً يلائم رسالة الفرقة فى ترقية التمثيل العربى .

ثم قدمت الفرقة أخيراً رواية « الصحراء » وقالوا فى الإعلان عنها إنها « أعظم ما كتب يوسف وهبى » وهى من روايات مسرح رمسيس القديمة التى ألفها يوسف وهبى ، أو هى أعظمها كما قالوا . وتقع حوادثها فى طرابلس الغرب حيث يجرى الكفاح بين الإيطاليين وعرب المغرب ، وقد وضعت الرواية ومثلت بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، فكان زمنها بطبيعة الحال إبان الحرب الأولى ، ولكنا شاهدناها تمثل الآن على أن زمنها فى الحرب الثانية ، فقد سمعنا أبطالها يرددون كلمات « الدوتشى وموسيلينى وروميل » ولكن العجيب أنهم يتناقلون ما وقع لعمر المختار على أنه حاصل فى وقت وقوع هذه الحوادث أى فى الحرب العالمية الثانية ، فهذا خلط تاريخى كان الالتفات إليه وعدم الوقوع فيه من أيسر الأشياء ثم إن الحروب بين الإيطاليين وعرب المغرب إنما كانت ملابسة للحرب الأولى وبعدها ، فكانت فظائع المستعمرين واستبسال المغاربة فى مقاومتهم حديث الناس أيام مثلت هذه الرواية بمسرح رمسيس ، أما فى الحرب الثانية وبعدها فلم يكن شىء من ذلك .

وتجرى الحوادث حول شخصية الأمير عمـاد بن سعد (يوسف وهبى) وهو قائد طرابلسى يقاتل الإيطاليين ، وله زوجتان: زوجة عربية وهى أمينـة (نجمة ابراهيم) وأخرى إيطالية وهى لينا (سامية فهمى) وله ولدان من كل منهما : شهاب (فاخر فاخر) من العربية وحسن (عمر الحريرى) من الإيطالية . تفر الإيطالية بابنهـا مع جنود إيطاليين يفقؤون عينى الأمير عماد ، وينتهى بذلك المشهد الأول . وفى المشهد الثانى نرى كهفاً يعيش به الأمير الضرير وزوجته العربية التى أصيبت فى غارة جوية بساقيها فأصبحت مقعدة وابنهما شهاب وابنة عمه عائشة (أمينة رزق) التى يحبها وتحبـه ، وقد أزمع شهاب اللحاق بفرقة من الدافعين عن الوطن ، فتودعه أمه وتموت بين يديه ، وينتهى المشهد بذهابه مع الفرقة ، والمشهد الثالث فى الـكهف أيضاً حيث يعيش الأمير وابنة أخيه عائشة ، يطرقهما جندى إيطالى جريح ، فيؤويانه على مقتضى المروءة العربية ، وبعد ذلك يتبين أنه حسن ابن الأمير من الإيطالية . وفى المشهد الرابع نرى حسناً يحاول أن يكسب مودة عائشة التى حزنت على خطيبها شهاب ، وبعد حوار بينهما تبدى له أنها تجيبه إلى رغبته فى الزواج منها إذا قاتل الأعداء وثأر لأخيه وعاد منتصراً ، ولـكن حسناً يحار فى أمره لأنه لا يزال يعد نفسه إيطالياً تبعاً لأمه ، ثم يلتقى بجاسوس إيطالى فيتفق معه على نقل أخبار العرب إلى الجيش الإيطالى ، ويسمع الأمير عماد الجاسوس وينقل أسرار الجيش العربى باللاسلـكى ، فيتحسس ناحيته حتى يمسك به ويستغيث ، ولـكن الجاسوس يفلت منه ويسدد إليه المسدس فيلتصق حسن بأبيه فيصيبه رصاص الجاسوس فيرديه . وهنا تستعصى الرواية على يوسف وهبى المؤلف إذ تأبى أن يختتم ... فيزعق يوسف وهبى الممثل زعقة هائلة تجعل ولده شهاباً يبرز من تحت الأرض وكان قد بلغه أنه قتل فيظهر أنه كان جريحاً فقط ، فيتلقاه فى أحضانه ، على حين تجرى أمينـة رزق (عائشة) بالبندقية متحمسة مع المتحمسين لقتال الأعداء . وتلتقى فلقتا الستار ...

كان المشهد الثالث أحسن المشاهد كلها ، فقد كان هادئاً تجلت فيـه الإنسانية والمروءة فى إيواء العدو الجريح والعطف عليه . وقد اعتُمد فى أكثر أجزاء القصة على « الرواية » أى أن اثنين من أبطالها يتحادثان طويلاً ليخبرانا بما حدث من كذا وكذا ، وكان حديث الشخص الواحد يطول حتى يكاد يتحول إلى خطيب ، ومن ذلك الحديث الذى دار فى أول مشهد بين الشيخ صالح والشيخ حسان عن المستعمرين ومساوئهم من الخونة ، فـكان الثانى باقى كأنه على منبر يوم جمعة ... وفى أثناء الحديث بدا المسرح فى منظر غريب ، جملان يسيران الهوينى ونساء يحملن الجرار فارغات — إذ يحملنها وجوانبها على رؤوسهن — فى الذهاب وفى الإياب ! ورجال كثير يروحون ويجيئون ، والجميع صامتون كأنهم قبيلة من الخرس ! وكل ذلك حتى يفرغ المتحدثان ، وبعد ذلك يأخذ الرجال فى صلاة المغرب ، فيطيلون الركوع والسجود ويعدون التـكبير والحمد والتسبيح ، ويختمون الصلاة بالأدعية ، وكل ذلك أيضاً لـكى تتمكن امرأتان من حديثهما المقصود منه « رواية » بعض الحوادث البعيدة عن المسرح ! ولذلك وأمثاله كانت الحركة بطيئة مملة والتسلسل المشوق معدوماً ، ولم يـكن يمنع الجمهور من النوم غير انفجارات البنادق والغارة الجوية ... وانفجار بعض (الأكلشيهات) الوطنية التى تستجلب التصفيق ...

ولست أدرى ولا المؤلف (وهو المخرج أيضاً) يدرى كيف يهجم جنود الأعداء على مكان القبيلة وطائراتهم تحلق فوقه وتقذفهم بالقنابل !

وموضوع الرواية ، أو المدعى أنه موضوعها ، هو الإشادة بالبطولة العربية فى المغرب ، ولـكن أين ذلك على المسرح ؟ أفى عرض جماعة من حملة السيوف يشرعونها نحو الطائرات التى تقذفهم بالقنابل ... وكيف تقاتل الدبابات والمدمرات بالسيوف ؟! وقد كان فى الإمكان الذى يتفق مع الواقع أن يكون فى أيدى الأبطال بنادق بدلا من السيوف .

أم فى ذلك المشهد العجيب الذى شغل ببكاء الأم وتشييع الحبيبة قبيل رحيل الشاب إلى الحرب ؟ كان الأوفق أن تتجملا بالصبر والجلد أمامه ، ولا بأس بقليل من العواطف يبدو فى أثناء التجلد ، وقد كان هذا المشهد « فاصلة » مملة من العويل والبـكاء تجلت فيه أمينة رزق !

هذا وذاك إلى الروح الفاتر الذى ران على كل الأبطال ... ولم تقدم لنا المسرحية بطلا واحداً تملأ العين شجاعته ، ومن هنا انعدم رسم الشخصيات ، حتى الأمير عماد ، والمفروض أنه قائد مغوار ، فقد رأيناه أولا منهوكا لا يستطيع الوقوف ، وبعد ذلك صار شيخاً ضريراً لا حول له ولا طول ، حتى زعق زعقته الأخيرة التى كانت هول الختام ...

عباس خضر



كتاب النفس لأرسطوطاليس (*):

أنت في غير مرية على بصيرة بأرسطو، تعرفه فيلسوفاً ذا باع طويل، له المؤلفات المأخوذ عنها، والأقوال السائرة، والآراء المحمول عليها إلى اليوم . .

وقد ظفرت المكتبة العربية من قبل بكتبه التي عنى نفسه بها معالي «أحمد لطفي السيد باشا» محموداً مشكوراً، فأخرج للناس كتاب الطبيعة، والكون، والفساد، والأخلاق، والسياسة.

واليوم تظفر المكتبة العربية بجديد لأرسطو، هو هذا الكتاب الذي أنا شاغلك بالحديث عنه، والذي فرغ له زميلان كريمان، جهد أولهما في تحويره عربياً، وأعان ثانيهما في مقابلة المنقول ومعارضته على اليونانية. فكمل جهد جهداً، وصدّق الخُبر الخَبر.

والكتاب كما ينبئك عنوانه حديث عن النفس. وفي غير هذا الكتاب لأرسطو في النفس آراء. ولكنه هنا جمع شتات ما تفرق وزاد واستطرد فعرض لمذاهب القدماء الرئيسة في النفس ثم ساق رأيه هو مع أدلته التي تنهضه وأفاض في القوى الحاسة؛ ثم ختم الحديث بالكلام عن الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوع.

ويشوقك أن نطالعك بالقليل من الكتاب لتفيد علماً بالمؤلف ونهجه، وتقدر الزميلين قدرهما على ما أحسنا فيه.

يقول أرسطو على لسان الزميلين: «فإذا صح أن النفس تتفشى في جميع الجسم الحاس، فبالضرورة يشغل جسمان نفس المكان، مادامت النفس جسماً. وأولئك الذين يزعمون أن النفس عدد، يجب أن يسلموا بوجود نقط كثيرة في النقطة الواحدة، أو أن لكل جسم نفساً. إلا إذا كان العدد الذي يوجد في الجسم هو عدد يختلف اختلافاً تاماً عن مجموع النقط الموجودة من قبل الجسم ...

ويعقب الدكتور الأهواني على هذه الجملة بقوله «ترجمة الجملة عن «هكس» لوضوحها. وهذا يذكرنا بقوله في مقدمته: ثم جملات ترجمة «تريكو» الفرنسية الأساس الذي اعتمدت عليه ونظرت إلى جانبها في ترجمة «هكس» وعدلت عن سائر التراجم وقد أخذت بترجمة «هكس» كلما وجدت النص عند «تريكو» غامضاً».

فأنت ترى أن الكتاب لم يكن على يسر، عانى فيه «تريكو» و«هكس» ثم عانى فيه الدكتور الأهواني، بين «تريكو» و«هكس».

وليس الأمر أمر ترجمة بل يسبق ذلك فهم وتذوق للعلم، هما عدة المترجم وسلاحه قبل حذقه اللغة وبصره بها.

ثم تجده بعد ذلك في شك الأمين غير راض عن جهده فيخف إلى الأب «قنواتي». ويكشف له هذا عن الصحف اليونانية فيجد فيها ما يصوب الكثير من هنات «تريكو» و«هكس».

ويثنيني هذا العناء الذي ألمسه عن أن ألتفت إلى القول في عبارات كنت أحبها أكثر صقلاً.

وأعود فأهنئ الزميلين بهذا الجهد الموفق، راجياً أن أرى لهما متعاونين غيره. فما أحوجنا إلى النقل عن اللغات المختلفة.

ابراهيم الابياري

مع الأستاذ:

ياساسة العرب: «إن محمد بن عبد الله الذي آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملكاً قد ساس الناس في عهده سياسة دينية لا وطنية ولا قومية، لأن الوطن محدود والدين لاحد له. ولأن القوم جماعة متميزة والدين إنسانية شاملة».

بهذا النداء القوي الحار انساب صوت الزيات العظيم مع «الأثير» في هدوء رزين، فكأنه كان «جبريل» نزل من علاه إلى أرض الناس يصب في الآذان الوحي من جديد فيلف القلوب

(*) نقله إلى العربية الدكتور أحمد الأهواني، وراجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتي.



الوفـــاء المذبوح ..!

للأديب أحمـــد شفيق حلمى

« كيف السبيل إلى البقاء على العهد ، وهو على قيد الحياة ، وحبيبته رهينة القبور ؟ ألا يجب أن يلحق بها ، أن يموت لكى يتم اللقاء الذى لا فراق بعده ؟ نعم يجب أن يلحق بها . فهناك السعادة الأبدية إنه طاهر نقى ، وهى طاهرة نقية ، إنها تنتظره وتدعوه إليها » .

إيفان تورجنيف

— ١ —

مالى أراك يا وحيد ساهماً ، وقد علت وجهك الغيوم ... غيوم نفسك الحائرة فى الحياة ... وقد سرحت الطرف ، ترقب الشمس الغاربة ، تتهادى على صفحة الأمواه ، ناشرة غلائلها القرمزية على صفحة البحر الخضم ، تودع الحياة ... فتنحدر وجلة نحو المجهول ، حتى احتضنتها الأمواج ، فطوتها مع أشلائها المتناثرة ثم ولت نحو المغيب ...

هل لفظتك الدنيا ، وسئمتك الحياة ، ففررت إلى تلك البقعة الجرداء ، تنعى الأمل وتبكى الحياة ، أم تخاطب النجوم المبعثرة فى القبة الزرقاء ؟ !

هل جلست هنا ، أم منبسط المياه ... تستمع لحشرجة الريح ؟ أم تعاتب القدر لقسوته عليك ! ؟

ألف سؤال احتوشتنى من كل جانب ، وعندما قادتنى قدماى إلى تلك البقعة الجرداء ... فوجدته هناك شارداً عليه وجوم ، وراحتاه تحملان رأسه الثقيل بالأتراح ... يجوب بنظرته التائهة عبر البحر ، يناشد الأمواج العزاء والسلوى ، ويقاسم الريح عويلها الحزين ! .

— ٢ —

وألفيتنى أحدق فى السكون السارى ، والبحر من تحت قدمى ، أمواجه تتلاعب ، وتندفع إلى بعيد ... فى الصفحة الفسيحة .

وفجأة لمحت أشباحاً انشق عنها البحر ، ونفضت عنها ثوبها الأسود الكالح ... فبدت طيوفاً بيضاء زاهية ، حملتنى إلى الماضى القريب ، وقد خلته بعيداً ، لما ناءت به مخيلتى من الخواطر والأفكار ...

عرفتك يا وحيد أول مرة ، طفلاً ساذجاً حلو الشمائل ، وهب الله أباك نعمة واسعة ، وخيراً عميماً ... فى القصور بين حدب الأب ، وحنان الأم كنت تعيش ، فكانت حياتك

بالشجن ، ويندى العيون بالدمع ، ويثير العواطف بالتذكير .

لم يأت أستاذنا بجديد — فالجديد يبلى — ولكنه أتى بقديم قدم الأزل ، فساقه موقعاً بأنغام موسيقاه التى تأسر النفس بخدر لذيذ ، وسحر حلال .

أجل : فقد قال ما عناه الله المتعال حين قال :

« وما محمد إلا رسول » ؛ وحين قال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » .

قلم الزيات العظيم من مولده رائع قوى ، ولكن بيانه المؤثر مع صوته الوقور مزيج عبقرى يهز النفس بما يواجها فى إحساسها .

تلك تحية مستمع من جمهور الرسالة الكريم .

طنطا عبد الفتاح على بركات

إلى الأستاذ كامل محمود حبيب :

قرأت ما كتبته بعنوان : « زوجة تنهار » ، فأكبرت بلاغة أسلوبك ، وسحر بيانك ، وعذوبة ألفاظك ، وتأثرت بانفعالات نفسك ، تأثراً كبيراً ، حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : « بالقصاص » . فلم تعجبنى خاتمة كلمتك ، لأن القارئ يود أن تكون نهاية الخائنة أشد وأنكى من أن تطرد إلى الشارع .

كيف واجهت الشارع ؟ أجرى القدَّاب وراءها ؟ أما زالت حية تتمرغ فى الأوحال ؟ أم كفَّرت عن ذنبها فألقت بروحها فى أعماق البحر ؟ أم أرجعها زوجها إليه ، وغفر لها إساءتها ومسح عنها عارها شفقة ورأفة بأولاده الصغار الأبرياء ؟ أم ماذا صنعت ، وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة فخيالاً لتكون عبرة وعظة .

(دمياط) عطية قنديل

كالجدول العذب ، يلعب بأنامله السحرية في الفلاة الصادية ، فيحيلها مروجاً سندسية نضيرة ... ويتسرب بين السهول والوديان ، عازفاً ألحان المرح ، وتراتيل السرور !

وكذلك أنت يا وحيد ... كانت حياتك تسير في مواكب الأفراح ترقص وتغني ! وكلما أغدقت من ثروتك الطائلة في سبيل الخير ... زادت ، واتسعت ، والتف حيالك الناس !؟

ومضى بك الزمن هادئاً ناعماً إلى مطلع الشباب ، فحلقت روحك بعيداً بعيداً أنت وحدك تدري إلى أين ! ! ثم هامت في اللانهاية ... تجوب عالم الخيال ، تمني نفسك العطاش بنعيم الحياة ، فما فتئت ترتوي من مختلف ينابيعها ، وتمطف القبل من ثغرها البسام ، إلى أن صبت نفسك إلى الراحة ، وهفا قلبك للسكون ، وتاقت روحك الهائمة ... إلى بيت الزوجية الهانيء ، فنفضت غبار الماضي ، لتستقبل من اصطفتها توأماً لنفسك ، وشريكة في الحياة

— ٣ —

وغمرتني النشوة ، والطيوف تداعب خيالي ، والرؤى تتماوج في شتيت الذكريات .. وأحسست بالراحة رانت على روحي ... عندما تشابكت خيوط الماضي ، كأنما لعبت بها أنامل بارعة ، سرعان ما أحالتها إلى وجه صبوح عليه إشراقة عذبة ساحرة ... فانطبعت في خاطري صورة عروسك الحبيب « سهام » .. ما كان أنضرها ! عيناها كسندس تكتسي به الحقول ، وشعرها المتهدل على جبينها الوضاح كبدر بين حفيف السحاب . أما صدرها الناهد وجسدها الريان ، فملوءان بسحر مجنون !!

ما كان أروعها ليلة الزفاف ، وهي تخطر إلى جوارك ، بين هالة من الفتيات يحملن الشموع والزهور ... تفتر شفتاها من بسمة حلوة ، يرف فيها ما تحس من سعادة وهناء ... وتلمح في عينيها تأملات حالمة ، تحملها سراعاً إلى عشها الجميل ، وأملها المنتظر ، وربيعها الدائم ، وقد نبتت فيه أزاهير من حب ووفاء .

وهنالك بين أكاليل الزهور ... جلست وعلى رأسها تاج من زهور الأقحوان ، محلي بالجيرانيوم ومرصع بالفيولد ... كانت في نبل الملائكة ، تحوطها هالة من نور ... نور يخطف الأبصار ... قد تسربلت خيوطه البهية من بين أهدابها الحالمة !

وكانت الليلة حلماً رائعاً ، رقصت فيه الملائكة على أنغام الجازبند فتمايلت نشوانة فرحى ... ترف حولها في السكان ... آهات حرى أرسلها صدرك يا صاحبي — علها تريد أن ترقص أيضاً ! ! — يحملها الأثير الهادىء اللين إلى ابتسامة الأمل ، ونفحة الله ... سهام .

وعلى دعاء الفجر لإله الوجود ، حملتك وعروسك نسائم الصباح الندية ، إلى عشكما الآمن ، تشيعكما قلوب العذارى ، وقد غبن في حلم جميل يتمنين أن تدب فيه الحياة !

— ٤ —

ها هو الليل قد أوشك على الرحيل ، وها هو — أنا — أجلس إليك بعد ذلك الحلم الطويل ... فهلا فككت كربتي يا وحيد ، فتبسط على نفسك الحزينة الغارقة في الأتراح ... وتقص علي ما وراء تلك الشعرات البيض من أحداث ! إنها تتسلل في شعرك الفاحم كنور الصبح يتلاشى أمامه الظلام !

— أواه يا خليل ... إن جراحات قلبي لم تندمل ، وروحي الشريد ... لم يستقر بعد ! ...

أتذكر ليلة العرس يا خليل ، وقد حملتني وعروسي عربة انطلقت إلى النُزُل الفخم ، الذي اخترته للاقامة ... ؟

وصلنا هناك ، وإلى غرفة تشرق بالبهجة ، تطل على مروج خضراء ، ومياه جارية في سهل فسيح ... حملنا أمتعتنا .

إني أذكر ساعة الوصول ، ومدير الفندق يقودنا إلى الغرفة البهيجة ، ثم يصفق خلفه الباب ، وهو يتمنى لنا إقامة هانئة ...

قلت لزوجتي وأنا أجوب الغرفة فرحاً : « ما أجملها غرفة يا سهام » ؟ فقالت بصوت حنون : « إنها بديعة يا حبيبي » !

وتطلعت إليها فتلاقت العيون ، وتلمست أصابعي كتفيها المرمريتين بخفة ورشاقة ، وقبلتها بحنان ، ثم دفعتها برفق إلى الفراش ، فاتكأت على حافته بحياء وخفر ، وعلق بصري بعقارب الساعة تترى بسرعة ... وسدتها ذراعي ، وهصرتها بين أحضاني ، ثم تلاقت الشفتان في قبلة محمومة ولهى ، فرشفت من الكأس حتى الثمالة ...

وتراقصت الظلال في جلال وروعة .. داعب النسيم البليل خصلات شعرها بمرح ، فتهدل على صدرها العاري ، وهو يعلو ويهبط بسرعة ، وانعكست على صفحة وجهها خبايا هواها ، وتألق في عينيها بريق عجيب ، فيه لهفة عميقة !

وفجأة ... وفجأة يا خليل لمحت وجهها الوردي الفاتن يصير إلى

اصفرار رويداً ، وعيناها أخذتا تحدقان فى شىء مجهول ، تبكى فى صمت وتتوسل فى ذهول ... كأن قوة جبارة أمسكتها بيد من حديد .

تحسست جسدها ، وأنا من الهول لا أعى ، فكان فى برودة الثلج ، فصرخت والدموع فى عينى : « مالك يا سهام ؟ ... ماذا تحسين ؟ ... إلى بطبيب ! إلى بطبيب ! »

وتداعى ذراعاى من حولها ، فسقطت على الملاءات البيضاء ، فقلت يائساً : « إليك روحى يا حياتى ، خذيها وعودى إلى ! ... هل تذبل الورود وهى تختال فى المروج ؟ تكلمى ... ردى على ردى على ... لماذا لا أسمع صوتك الحنون ؟ وا حر قلباه ، يا ضيعة العمر وأنا من غيرك يا سهام » !

... وامتلأت الغرفة بالظلال الداكنة ... تهتز فى صمت ثقيل ... وحفل الفراغ بالأشباح ... تتراقص فى عربدة مجنونة ... تجثم على صدرى صرخاتها المنكرة ... فهرعت إلى الأسجاف أرفعها ، وفتحت النافذة ، فاندفع الهواء من السهل القريب ، حيات تسعى ... تلتف حول عنق ، تخارت قواى ودارت الجدران ... ومادت الأرض ... حتى غدوت فى النهاية ، غريقاً فى صخب هائل مفزع ... وتوهج المصباح ، ثم خبا فتشتت الضوء ، وأحسست بالبرودة تسرى فى أطراف ، ثم غبت عن الوعى .

— ٥ —

... وعادت الغرفة تلوح من بين أهدابى المثقلة ، فلمحت خيالات كثيرة تروح وتجىء ، وسمعت أحدهم يقول لخيال : « إنه فى طريقه إلى الوعى » ...

تحاملت على نفسى ، وحدقت فى الجدران التى تدور ... وصرخت ملتاعاً « أين سهام ؟ أين سهام ؟ ... فخرج فى مسمعى صوت رهيب « ذهبت ... ذهبت يا وحيد ولن تعود » !

وانهمر على وجنتيه دمع حبيس ، فقلت له وأنا من أجله ملتاع ، أطالع صفحته الحزينة ... فيثب إلى خاطرى الوفاء المعذب ، والدنيا والأحلام ، وقد لفت فى أكفان الأبد ، قلت له : « وبعد يا رجل ، هل تود أن تموت ؟ هيا يا صديقى إلى الحياة ، ترى فيها السلوى والعزاء .

— أنا ؟ ؟ أنا أهبط إلى الحياة من جديد ! ؟ لقد سحقت قلبى أناشيد الحرمان ، وذريت روحى فى مهمة الظلمات ، فهل أهبط إليها من غير قلب وروح ! ؟

— جرب هل الريح تأتى وفاء !

— دعنى يا صاحبى فى أحزانى وآلامى ، على ألحق بها ، بعد أن خلفتنى وحيداً فى عالم الأحزان !

— لك الله يا وحيد ، ولكن رفقاً بنفسك يا صديقى ، ولم لو نادتيت ! ؟ .

— ويلك ، ماذا تقول ؟ وهل الحياة غير الوفاء لحبيب ؟ ! مضيت فى طريق ، وتركته وحيداً ، وهو فى غمرة الأسى ، ولوعة الشجن ، يذوب ويذوب ، وهو يتطلع بشوق لطيف ، هناك ... إلى السماء ... عل ملك الموت الرحيم ! يختطفه إليها ، فيجمعه بها فى الفردوس ... عند الله .

أحمد شفيق حلمى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفه التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة – بمحطة مصر